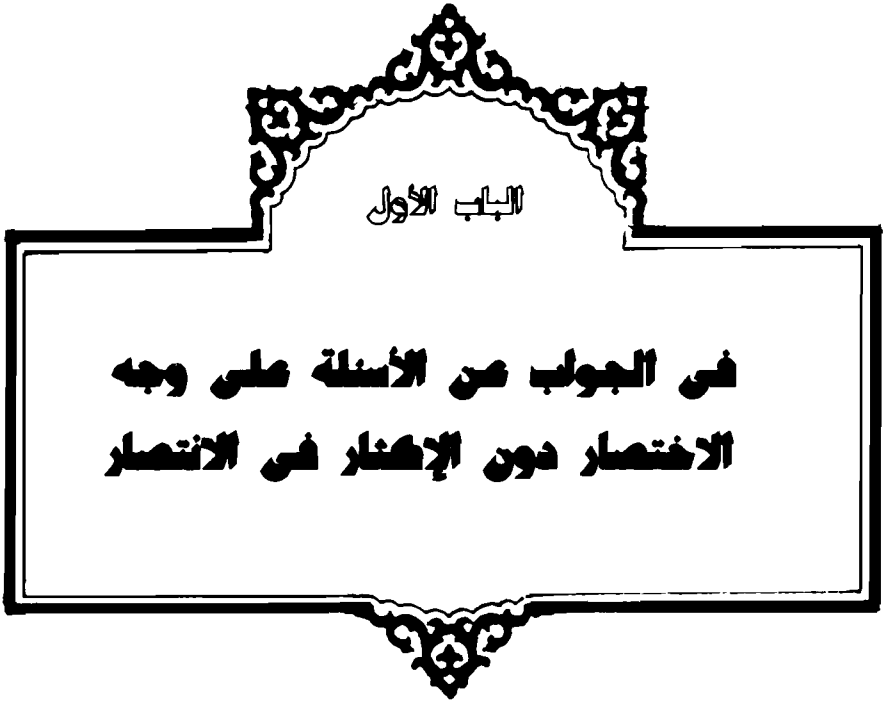

الباب الأول

فى الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار فى الانتصار

فى الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار فى الاختصار

فإن النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء ، قد غلب عليهم التقليد ، وتجنبوا محجة النظر السديد ، حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم ، ولا يتأملوا ما يعتمده فى دينهم أكابرهم وطغاتهم ، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده ، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلـٰههم خلق أمه ، وأن أمه قد ولدت خالقها .

ومن تلك الغفلات ما قد حكى المسيحى فى تاريخه وغيره ، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه فى دينهم عشر مرات بالقسطنطينية والأسكندرية[1] ، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مرة ، وكَفَّرُوا من يعتقده وأثبتوا غيره ، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم لا لرسالات ربهم .

ومنها أنهم فى بلاد الروم بأسرها ــ كبرشلونة وبركونة ومرسيلية وفرنسة ــ وسائر مدن الإفرنج لهم ثلاثة أيام فى السنة معلومة ، يقول فيها الأساقفة للعامة : « سرقت اليهود دينكم » ، واليهود ساكنون معهم فى البلاد ، فتنطلق العامة و أهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود ، فمن وجدوه قتلوه ، وأى دار قدروا عليها نهبوها ، واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن وتستعد لها فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة ،

---

(١) قلت ــ أى المحقق ــ: تناول الشيخ محمد أبو زهرة ــ رحمه الله ــ أنواع هذه الاجتماعات وتاريخها وأسباب انعقاد كل منها وقراراتها فى كتابه المسمى « محاضرات فى النصرانية » وقد بحث فيه الأدوار التى مرت عليها عقائد النصارى وكتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم (نشرت رئاسة الافتاء والإرشاد بالسعودية الطبعة الرابعة للكتاب سنة ١٤٠٤ هـ) ، وكان أول اجتماع فى نيقية عام ٣٨٥ م ثم كان لأكابرهم سنة ٣٨١ ميلادية الاجتماع الأول بالقسطنطينية ، وهكذا استمرت قراراتهم واجتماعاتهم وتعددت ، فكان الاجتماع العاشر فى روما سنة ١١٣٩ م . وانتهت تلك المجمعات بالمجمع العشرين المنعقد فى روما سنة ١٨٦٩ وقد أثبتوا فيه العصمة للبابا ، وتفصيل ذلك فى كتاب الشيخ أبو زهرة فليراجع هنالك . كما أن الإمام ابن القيم الجوزية تناول بعضاً من مجمعاتهم فى إغاثة اللهفان [٢/٢٨٠ ــ ٢٨٣] ، وقد أشار ــ رحمه الله ــ إلى أنهم اجتمعوا عدة مجامع تزيد على ثمانين مجمعاً [٢/٢٧١] .

فدخل إلى **سرداب** هناك ، فقعد ساعة ثم خرج بحُقٍ عظيم محاط بالحلى والطيب ، يزعم أن الدين فيه ويقول لهم : « حلوا عن اليهود ، فقد وجدت دينكم » ، فيتركون اليهود ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها ، عاد الحال بحاله ، وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبداً .

ومما أطبق عليه النصارى فى أحكامهم فى كرسى مملكتهم بعكا[1] أن أحدهم إذا ادعى على آخر قتلاً حلقوا رأس الاثنين ، ودفعوا لكل واحد منهما باسليقاً[2] وقرناً محدد الطرف ، وخرج مع نائب ولى الأمر إلى مدينة « تورا » ، يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق فى قرعته ، فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره وغرس ذلك القرن فى عينه ، ثم يأخذهما ولى الأمر ويعتقدون أن المغلوب أبداً هو المبطل الظالم ، وأن الغالب هو الصادق فيأخذ الراهب ذلك المغلوب ، ويقرره بذنوبه ، ويقول له : أى شىء أقررت به من ذنوبك غفر لك ، وأى شىء أخفيته عاقبك السيد المسيح عليه ، فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدى له جميع عوراته وزلاته ، ثم يؤمر به **ويُقتل ، فانظر هذه الأحكام ، هل تتصور أن تجرى بين قوم لهم من العقل شىء ويستمر** ذلك مع الأيام ؟، ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاته الظالم فتجتمع عليه ظلامات وغبائن ، ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها فى الإنجيل ولا فى التوراة ، بل هم على قاعدتهم فى اختراع دينهم برأيهم ، كما حكاه المسيحى وغيره من المؤرخين عنهم .

ومما أطبق عليه النصارى : أن الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه ، حرم عليه ، ومعنى حرم عليه : أن الرب تعالى غضب عليه ، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته وموالفته ، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه ، ويخطر ببالهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة وتموت دوابه ويهلك رزقه ، وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم .

ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا فى الأرض يتصرفون فيها فى العباد تصرف رب الأرباب ، وأن بيدهم السعادة والشقاء ، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل ، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه طول عمره ، يأكل الرشا فى الأحكام ويتغذى بالحرام ، وهو فى الجهالة أشد من الأنعام ، لا يفرق بين كوعه وبوعه[3] ولا بين هره

---

(١) عكا : مدينة بفلسطين . .

(٢) آلة من آلات الحرب والقتال .

(٣) الكوع : طرف الزند الذى يلى الإبهام ، والبوع : عظم يلى إبهام الرجل والجمع أبواع (المعجم الوسيط) والمعنى أنه فاقد التمييز .

وبره ، ألكن اللسان ، أغلف القلب سيىء السمع ، مشكل الرأى ، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل ناء عن رياضيات العلوم ، فهم وأتباعهم لا يزالون فى هذه الغفلة مستمرين على هذه النومة ، حتى يأتى أحدهم الموت فيستيقظ ، فيجد نفسه لا مع بنى آدم فى اتِّباع الحق ، ولا مع البهائم فى الراحة من التكليف فيعض كفيه ندما ، وتدوب نفسه أسفاً ، نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

كشف الستار عن الاعيب الأشرار

ولما علم حُذَّاقهم[1] أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ، ولا أصل يرجع إليه ، جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها فى الكنائس والمزارات .

(أ) تمثال يبكى إذا قُرىء الإنجيل !!!

فمن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قُرىء عليها الإنجيل تبكى وتجرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل .

تفسير ذلك :

ويكون لها مجارٍ رقيقة فى أجوافها من ورائها متصلة بزق ممتلئة بالماء ، يعصره بعض الشمامسة[2] فيفر الماء فى المجارى ويتصل بعيون الأصنام .

(ب) تمثال يخرج اللبن من ثديه :

وكذلك يصنعون أصناماً يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل ، وذلك بصقلية وغيرها[3] .

(جـ) أشياء معلقة فى الهواء لا يمسكها شىء !!

ومن ذلك الأصنام من حديد وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض ،

(١) الحاذق فى شىء : أى الماهر فيه .

(٢) الشمَّاس : أول مرتبة من مراتب رجال الدين عند النصارى يليه القسيس ثم الأسقف ثم المُطران ثم البطْريق ثم البابا .

(٣) انظر إغاثة اللهفان [٢/٢٨٩] (تحقيق محمد حامد الفقى) .

فلا يمس شيء منها ولا يمسها شيء ، ويقولون : إن ذلك بسبب بركة ذلك المكان ، وأنه برهان على عظمة الدين ، فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل !!

تفسير ذلك :

ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت فى ست جهات : فوق الصنم وتحته ويمينه ويساره وخلفه وأمامه ، فيجذبه كل حجر إلى جهته وليس البعض أولى من البعض فيقع التمانع فيقف الحديد فى الوسط ، ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البنيان فسقط ، وذلك بالقسطنطينية كرسى مملكتهم ومجتمع عظمائهم وعقلائهم ، وهذا حالهم .

(د) قنديل يشتعل بلا نار !!

ومن ذلك النور الذى ينزل بالقمامة[1] فى البيت المقدس على قنديل معلق هناك ، فيشرق من غير اتصال نار به فى رأى العين ، فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قبل الله تعالى ؛ لأنه موضع قبر المسيح عندهم ، الذى دفن فيه وصعد منه ، وهو شيء مشاهد بالحس .

تفسير ذلك :

وأصله أن النفط إذا دُبِّر على كيفية مخصوصة ومُسح به شريط رقيق فى غاية الرقة من الحديد ، ومُدَّ ذلك الشريط إلى القنديل ، وعُمل فى آخره فتيلة ؛ فإن النار إذا مُس بها أول ذلك الشريط فإنها تجرى مع ذلك الشريط بسبب ذلك النفط الملاصق له إلى أن ينتهى إلى آخره ، فيشعل ذلك الجسم الذى للفتيلة من القطن أو غيره ، ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون فى صدر بيت ويشعلون سراجاً فى **طاق** فى الجهة الأخرى من غير مباشرة ، فإذا راهنه أحد مد شريطاً مع طول الحائط بدائر البيت متصلاً بذلك السراج ، ويمسه بالنار فتسرى النار إلى السراج ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج ، وكذلك النصارى اتخذوا شريطاً رقيقاً لهذا القنديل ، يشعلونه فى أعلى القبة التى فى المكان فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة .

---

(١) يزعم اليهود أنهم قتلوا المسيح ــ عليه السلام ــ بعد صلبه ، ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ ، وقد قتلوا شبيهاً للمسيح هو « يهوذا » وظنوا أنه المسيح ، فدفنوه فى مزبلة للأوساخ والأقذار تحقيراً وإهانة للمصلوب ، ويظنون أن المصلوب هو عيسى ــ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ــ ، وعلى اليهود لعائن الله وملائكته والناس أجمعين .

وقد اطلع على ذلك جماعة ، منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل وأراد أن يمنع ذلك ، فقالوا له : إنك يحصل لك بهذا جملة من المال فإن أبطلتها بطل و لم يحصل لك شيء ، فتركهم على حالهم ، وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به .

وهذه الكيفية مذكورة فى كتب النفط والرماية رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشأن[1] .

(هـ) انهم يصافحون يد الله !!!

ومن ذلك : أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل لها يوم معلوم من السنة ، يصافحه الناس !!

كشف الحيلة :

فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد ومسكها مسكاً شديداً وقال : والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها ، فقال له الأساقفة : أما تخشى الرب ، أخرجت من دين النصرانية ؟؟، فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى وجه صاحب اليد ، فلما أعياهم أمره أخبروه أنها يد راهب منهم ، فقتله ومنعهم من العود لذلك فلم يعودوا .

وبالجملة : الإسهاب فى هذا الباب يضيع الزمان لكثرته ، وإنما أردت التنبيه على أن ما هم عليه من الضلال نوع من الشعبذة[2] وأصناف من الحيلة لما عدموا الحق الذى يصدع القلوب ، وتقبله العقول ، وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم ، ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى ، فلذلك لم تنهض العزيمة إلى بسط القول فى الحديث معهم ، فإن مخاطبة البهائم من السفه ، بل اقتصرتُ على بيان غلط القائل بهذه الرسالة

---

(١) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية نحواً من هذه الألاعيب فى إغاثة اللهفان [٢٨٨/٢ ـ ٢٨٩]، وفى كتاب الأعلام للزركلى [٩٤/١ ـ ٩٥] أفاد بأن الإمام القرافى كان من البارعين فى عمل الحيل المتحركة فى الآلات الفلكية ، وذكر نحواً منها .

(٢) شعبذ : أى مهر فى الاحتيال ، وأرى الشيء على غير حقيقته معتمدا على خداع الحواس ، وزين الباطل لإيهام أنه حق . وهى مثل الشعوذة .

ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم ، لعل الله تعالى يجعل ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوىء القبيحة .

مواجهة المؤلف لهم :

وأما سلوك طريق الأنظار العقلية وبيان المدارك القطعية فليس القوم أهلاً لذلك ، ولقد اجتمع بى بعض أعيانهم المبرز فى حلبة سباقهم ليتحدث فى أمر دين النصرانية ، فقلت ــ بحضرة جماعة من العدول ــ: أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم !! ، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته ، فحاول هو نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، قال : ماكُلِّفنا بالتصوير بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لايلزمنا وما ليس من ديننا ، فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد وعدم النظر فيما يصح ويفيد .

فقلت له : الاعتقاد لابد فيه من أن تثبت شيئاً لشيء أو تنفيه عنه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه وتصور المحكوم به ، وأنتم ــ على ما قلت ــ مكلفون بالاعتقاد ، ومن كُلِّف بمركب كُلِّف بمفرداته ، فمتى كُلفت بالاعتقاد كُلفت بالتصوير ، فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير فصَوِّر لى دينك ؟! ، فانقطع ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ولزمه[1] السؤال من قوله .

فقال : أمهلنى ثلاثة أيام حتى أجتمع بابن العسال[2] ، وهو كان مشهوراً عندهم بالفضيلة على زعمه ــ فلم أره بعد ذلك .

فانظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلاً عن إقامة الدليل عليه ، فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم ؟؟!! ، فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد فى بيان هذه الكلمات .

---

(١) يقال : لزمه أو التزمه أى أعابه .

(٢) ترجم له الأستاذ عمر رضا كحالة فى كتاب معجم المؤلفين [٢٤٤/٢ ، ١٦٣/٨] ط الترقى بدمشق [١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م] .

الشبهة الأولى:

فمنها: أنه قال: **إن** محمداً ـ ﷺ ـ لم يُبعث إلينا[*] فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا **إنه** لم يرسل إلينا لقوله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[2]، ولقوله تعالى: ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم** ﴾[3]، ولقوله تعالى: ﴿ **لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك** ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾[5]، ولقوله تعالى: ﴿ **لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم** ﴾[6]، ولقوله تعالى: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[7]، ولا يلزمنا إلا من جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة **والإنجيل بلغاتنا**.

الجواب على الشبهة الأولى من وجوه:

أحدها: أن الحكمة فى أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم ليكون ذلك أبلغ فى الفهم عنه ومنه، وهو أيضاً يكون أقرب لفهمه عنهم جميع مقاصدهم فى الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة فى أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب.

وإنما أمر جماعة من الرسل ـ عليهم السلام ـ بالقتال بعد اليأس من النفع بالبيان فإذا تقررت نبوة النبى فى قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه ـ أكثر من غيرهم ـ إذا

(*) أى لم يُبعث للنصارى ولم يكلفوا باتباعه إنما بعث للعرب فقط.

(1) يوسف: 2

(2) إبراهيم: 4.

(3) الجمعة

(4) القصص: 46، السجدة: 3.

(5) الشورى: 7.

(6) يس: 6

(7) الشعراء: 214.

سَلَّموا ووافقوا فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق ، فهذه هى الحكمة فى إرسال الرسول بلسان قومه ومن قومه ، لا أن المقصود أن لا يتعدى برسالته لغير قومه .

وفرق بين قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[1] وبين قوله : وما أرسلنا من رسول إلا لقومه ، فالقول الثانى هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول ، بل لا فرق بين قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[2] وبين قوله : وما أرسلنا من رسول إلا مكلفاً بهداية قومه ، فكما أن الثانى لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم ، فكذلك الأول ...، فمن لم تكن له معرفة بدلالة الألفاظ ومواقع المخاطبات سَوَّى بين المختلفات وفَرَّقَ بين المؤتلفات .

وثانيها : أن التوراة نزلت باللسان العبرانى ، والإنجيل بالرومى ، فلو صح ما قاله لكان النصارى كلهم مخطئين فى اتباع أحكام الإنجيل فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الرومى اللسان العربى بطريق **التَّعلم** ، وأن يكون القبط كلهم والحبشة مخطئين فى اتباعهم التوراة والإنجيل ، لأن الفريقين غير عبرانيين أو روميين ، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما كما ترجما بالعربى لم يفهم قبطى ولا حبشى ولا رومى شيئاً من التوراة ، ولا قبطى ولا حبشى شيئاً من الإنجيل ، إلا أن يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربى .

وثالثها : أنه إذا سلم أن النبى ــ ﷺ ــ رسول لقومه ، ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون من الزلل **مبرءون** من الخطل[3] ، وهو عليه السلام قد **قاتل اليهود ، وبعث إلى الروم ينذرهم**[4] ، **وكتابه ــ عليه السلام ــ محفوظ عندهم إلى اليوم فى بلاد الروم عند ملكهم يفتخرون به ، وكتب إلى المقوقس بمصر لإنذار**

(١) إبراهيم : ٤

(٢) إبراهيم : ٤

(٣) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

(٤) كتب النبى ــ ﷺ ــ إلى هرقل عظيم الروم ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين ، ﴿ يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

القبط[1] ، ولكسرى بفارس[2] ، وهو الصادق البر ، كما سلم أنه رسول لقومه فيكون رسولاً للجميع ؛ لأن من جملة ما نزل عليه ـ ﷺ ـ: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾[3] ، فصرَّح بالتعميم واندفعت شبهة من يدعى التخصيص .

فإن كان النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة ـ لا لقومه ولا لغيره ـ فيقولون أوضحوا لنا صدق دعواكم ، ولا يقولون كتابكم[*] يقتضى تخصيص الرسالة .

وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم** ﴾[4] لا يقتضى أنه لم يبعث لغيرهم ، فإن الملك العظيم إذا قال : بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم ، ولا أنه لا يأمر قوماً آخرين بغير تلك الرسالة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم** ﴾[5] ، ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم ، بل لمّا كان الذى يتلقى الوحى أولاً هم العرب ؛ كان التنبيه عليه بالمنة وعليهم بالهداية أولى من غيرهم .

وإذا قال السيد لعبده : بعتك لتشترى ثوباً ، لا ينافى أنه أمره بشراء الطعام ، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه ، وسكت عن الطعام لأن المقصد الآن لا يتعلق به ، ومازالت العقلاء فى مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه ، ويسكتون عما لم يتعين سببه ، وإن كان المذكور والمسكوت عنه واقعين فكذلك الرسالة عامة ، ولما كان

---

(١) كتب النبى ـ ﷺ ـ إلى المقوقس عظيم القبط بمصر يقول فيه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، ﴿ يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ » ا . هـ .

(٢) وكتب إلى كسرى عظيم الفرس ما لفظه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس » ا . هـ .

[انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/٦٠ ـ ٦٣]

(٣) سبأ : ٢٨ . (*) أى القرآن الكريم . (٤) الجمعة : ٢ . (٥) يس : ٦ .

المقصود إظهار المنة على العرب **خُصُّوا** بالذكر ، ولما كان أيضاً المقصود تنبيه بنى إسرائيل وإرشادهم خصوا بالذكر ، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر ، ولم يذكر معها غيرها فى القرآن فى تلك الآيات المتعلقة بهم ، وهذا هو شأن الخطاب أبداً ، فلا يغتر جاهل بأن ذكر « زيد » بالحكم يقتضى نفيه عن « عمرو » ، كذلك قوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[1] ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم ، كما أنه إذا قال القائل لغيره : أدِّب ولدك ، لا يدل أنه أراد **ألا** يؤدب غلامه ، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم فى هذا المقام تأديب الولد ، لأن القصد مختص به ، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له : وغلامك أيضاً أدِّبه ، وإنما بدأت بالولد لاهتمامى به ، ولا يقول عاقل **إن** كلامه الثانى مناقض للأول .

وكذلك قرابته ــ عليه السلام ــ هم أولى الناس ببره ــ عليه السلام ــ **وإحسانه** وإنقاذه [لهم] من الهلكات ، فخصهم بالذكر كذلك ، لا أن غيرهم غير مراد كما ذكرنا فى صورة الولد والعبد .

وبالجملة : فهذه الألفاظ لغتنا ، ونحن أعلم بها ، وإذا كان ــ عليه السلام ــ هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا ارادته ، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم ، والعرب لم تفهم ذلك وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه[2] ، ولو فهموه[3] لأقاموا به الحجة عليه ، ونحن أيضاً لم نفهم دينك ، فما فهمه إلا هذا النصرانى الذى ساء سمعاً وفهماً فساء إجابةً .

فمن أراد الهدى فطريقه واضحة ، فليأخذ سبب النجاة قبل الموت ، ويستدرك للسعادة قبل الفوت ، فما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار ، وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه ، فليحصلها قبل حلول رمسه[*] والله تعالى هو المعين على الخير كله .

الشبهة الثانية :

أنه قال : « **إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى ــ علية السلام ــ، وبتعظيم أمه مريم ــ رضى الله عنها ــ، وهذا هو رأينا واعتقادنا فيهما فالدينان واحد فلا ينكر المسلمون علينا** » .

---

(١) الشعراء ــ ٢١٤ .

(٢) ، (٣) أى لم يدعوا ولم يفهموا أن رسالة النبى خاصة لقومه ، ولم يقولوا بذلك .

(*) الرمس : القبر .

والجواب من وجوه:

أحدها : تعظيمهما لا نزاع فيه و لم يُكَفَّر النصارى بالتعظيم ، إنما كُفِّرت بنسبة أمور أخرى إليهما لا تليق بجلال الربوبية ولا بدناءة البشرية من : الأبوة ، والبنوة ، والحلول والاتحاد ، واتخاذ الصاحبة والأولاد ، تعالى الله عما يقول **الكافرون** علواً كبيراً ، فهذه مغالطة فى قوله : « **موافق لاعتقادنا** » ، ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه ، نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها ــ وحاشاه ــ كان موافقاً لاعتقادهم ، فأين أحد البابين من الآخر .

وثانيها : أنه إذا اعترف بأن القرآن الكريم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق ، فإن الباطل لا يؤكد الحق ، بل المؤكد للحق حق جزماً ، فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً ، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى ، وهو أنهم اختبروا ما جاء به عليه السلام فوجدوه موافقاً لما يعتقدونه من الحق ، فجزموا بأنه حق ، وأسلموا واتبعوه ، ومازال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم ، فإن وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه ؛ وإلا رفضوه .

وثالثها : أن هذا برهان قاطع بالحق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان فإنه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة ، فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء ــ عليهم السلام ــ على كل تقدير ، أما النصرانى فليس على أمان من تكذيب محمد ــ ﷺ ــ فتعين رجحان الإسلام على غيره ، ولو سلمنا تجويز صحة ما يقوله النصرانى من البنوة وغيرها ، يكون المسلم قد اعترف لعيسى ــ عليه السلام ــ ولأمه ــ رضى الله عنها ــ بالفضل العظيم ــ والشرف المنيف ، وجهل بعض أحوالهما ــ على تقدير تسليم صحة ما ادعاه النصارى ــ والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطراً ، أما النصرانى فإنه منكر لأصل تعظيم النبى محمد ــ ﷺ ــ، بل ينسبه للكذب والرذائل والجراءة على سفك الدماء بغير إذن من الله تعالى ، ولا خفاء فى أن هذا خطر عظيم ، وكفر كبير ، فيظهر من هذا القطع بنجاة المسلم قطعاً ، ويتعين غيره للضرر والخطر قطعاً ، فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام فيدخل الجنة بسلام .

الشبهة الثالثة :

أنه قال : إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى ــ عليه السلام ــ روح الله تعالى[1] وكلمته[2] ، وهو اعتقادنا .

الجواب على الشبهة الثالثة :

والجواب من وجوه :

أحدها : أن من المحال أن يكون المراد « الروح » و « الكلمة » على ما تدعيه النصارى ، وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى ــ عليه السلام ــ بصفة ، وينادى بها على رؤوس الأشهاد ، ويطبق بها الآفاق ثم يُكَفِّر من اعتقد تلك الصفة فى عيسى ــ عليه السلام ــ!!، ويأمر بقتالهم وقتلهم ، وسفك دمائهم وسبى ذراريهم[*] ، وسلب أموالهم ، بل هو بالكفر أولى لأنه يعتقد ذلك مضافاً إلى تكفير غيره والسعى فى وجوه ضرره ، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ من أكمل الناس فى الصفات البشرية خَلْقاً وخُلُقاً وعقلاً ورأياً ، فإنها أمور محسوسة ، إنما النزاع فى الرسالة الربانية ، فكيف يليق به ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يأتى بكلام هذا معناه ؟!! ؛ ثم يقاتل معتقده ويكفره ، وكذا أصحابه ــ رضى الله عنهم والفضلاء من الخلفاء من بعده ، فهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل ، وغير ما **تعتقده النصارى** .

ثانيها : أن « الروح » اسم للريح الذى بين الخافقين ، يقال لها : ريح وروخ لغتان ، وكذلك فى الجمع رياح وأرواح ، واسم لجبريل ــ عليه السلام ــ وهو المسمى بروح القدس ، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيوانى[3] .

و « الكلمة » اسم للفظة المقيدة من الأصوات ، واسم للخبر من الكلام النفسانى ، ولذا يقال :

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) آل عمران : ٤٥ .

(*) الذرارى : جمع ذُرّية وهى نسل الثقلين ، والمراد هنا أسر أولادهم .

(٣) تناول ابن قيم الجوزية مفهوم « الروح » فى القرآن الكريم ، وذكر أنها على خمسة أوجه فيه ، هى : الوحى ، والقوة والثبات والنصرة من الله ، وجبريل ، وروح الإنسان ، وعيسى ابن مريم عليه السلام [تفصيل ذلك فى كتاب « الروح » ، ٢٠٨ ــ ٢١٠ ط مكتبة القرآن تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس] .

إن الكـــلام لفـــى الفـــؤاد وإنمـا
جُعـل اللســان على الفـــؤاد دليـــلا

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر ، وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات ، ولهذا يُقال : هذه الكلمة خط حسن ومكتوبة بالحبر .

وإذا كانت « الروح » و « الكلمة » لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ ؟؟، وحُكم النصرانى اللفظ على معتقده حكم بمجرد الهوى المحض .

وثالثها : وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام ــ أن معنى الروح المذكورة فى القرآن الكريم فى حق عيسى ــ عليه السلام ــ هو الروح الذى بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان ، ومعنى نفخ الله ــ تعالى ــ فى عيسى ــ عليه السلام ــ من روحه : أنه خلق روحاً نفخها فيه ، فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله[1] ، وروح كل حيوان هى روح الله تعالى ، فإن الإضافة فى لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابسة ، كقول أحد حاملى الخشبة للآخر : طرفى مثل طرفك ، وشل طرفك ــ يريد طرف الخشبة ، فجعله طرفاً للحامل ...، ويقول : طلع كوكب زيد إذا كان نجم عند طلوعه يسرى بالليل ، ونسبة الكوكب إليه نسبة المقارنة فقط ، فكيف لا يضاف كل روح إلى الله تعالى وهو خالقها ومدبرها فى جميع أحوالها ؟؟؟!! .

وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سُئل عن هذه الآية فقال : نفخ الله ــ تعالى ــ فى عيسى ــ عليه السلام ــ روحاً من أرواحه ، أى جميع أرواح الحيوان أرواحه ، وأما تخصيص عيسى ــ عليه السلام ــ بالذكر ؛ فللتنبيه على شرف عيسى ــ عليه السلام ــ وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه ، كما قال تعالى : ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان** ﴾[2] و ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾[3] مع أن الجميع عبيده وإنما التخصيص لبيان منزلة المُخَصص .

---

(١) قلت : وهذا استدلال صحيح ، ومثله نفخ الروح فى آدم ــ عليه السلام ــ عند خلقه ، قال جل ذكره ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [٥٩ ــ آل عمران] .
(٢) الأنفال : ٤١ .
(٣) الحجر : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥

وأما « الكلمة »[1] فمعناها : أن الله تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن ، فلما أوجد الله ـــ تعالى ـــ عيسى ـــ عليه السلام ـ قال له : كن ـــ فى بطن أمه ـــ، فكان ، وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم فهذا معنى معقول متصور ليس فيه شيء كما يعتقده النصارى من أن صفة من صفات الله حلت فى ناسوت عيسى ـــ عليه السلام ـــ، **وكيف يمكن فى العقل**، أن تفارق الصفة الموصوف ، بل لو قيل لأحدنا **إن** علمك أو حياتك انتقلت لزيد لأنكر ذلك كل عاقل ، بل الذى يمكن أن يوجد فى الغير مثل تلك الصفة ، وأما أنها هى فى نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال لأن الحركات من صفات الأجسام ، والصفة ليست جسماً ، فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام ، والأجسام صفات ، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد ، سقطت مكالمتهم وذلك هو الظن بهم ، بل يقطع بأنهم أبعد عن ذلك من موارد العقل ، ومدارك النظر .

وبالجملة : فهذه كلمات عربية فى كتاب عربى ، فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته فى إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل به ، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به ، ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه

الشبهة الرابعة :

ومنها أنه قال[2] : ورد فى الكتاب العزيز : ﴿ **وَجَاعِلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ﴾[3] .

---

(١) يؤمن النصارى بعقيدة التثليث ، وهى كما يزعمون أن اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين فى الكمالات الإلهية ومتمازين فى الاسم والعمل ، و « الكلمة » و « الروح القدس » اثنان منهم ويدعى الأقنوم الأول : [الآب] ، وعندهم أن هذه التسمية هى مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية .

والأقنوم الثانى : [الكلمة] لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية وأن وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضاً الإبن .

والأقنوم الثالث : [الروح القدس] للدلالة على النسبة بين الآب والابن وعلى عمله فى تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته .

قلت : وهو فساد ووهم صدر عن نفوس مريضة ، وهو مردود عليه من علماء الإسلام وأهل التوحيد الخالص وستجده بين صفحات كتابنا هذا .

(٢) يعنى فى حق عيسى عليه السلام . (٣) آل عمران : ٥٥

الجواب عليها :

إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه أنه ابن الله ، وسلكوا مسلك المتأخرين هؤلاء الدبر(*) ، فإن اتباع الإنسان موافقته فيما جاء به ، وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه محل نزاع ، بل متبوعوه هم الحواريون ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث(١) ، وأولئك هم الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة ، ونحن منهم وهم منا ، ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ماكان عليه أولئك ، فإنهم ـــ قدس الله أرواحهم ـــ آمنوا بعيسى وبجملة النبيين ـــ صلوات الله عليهم أجمعين ـــ، وكان عيسى ـ عليه السلام ـ بشر هم بمحمد ـ ﷺ ـ كما ستقف على نصوصه آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكذلك لما ظهر ـ عليه الصلاة والسلام ـ جاءه أربعون راهباً من نجران فتأملوه ، فوجدوه هو الموعود به ، فآمنوا به في ساعة واحدة بمجرد النظر والتأمل لعلاماته ، فهؤلاء هم الذين اتبعوه ، وهم المرفعون المعظمون ، وأما هؤلاء النصارى فهم الذين كفروا به(٢) مع من كفر ، وجعلوه سبباً لانتهاء حرمة الربوبية بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفات البشر إلى الصاحبة والولد ، الذى ينفر منها أقل رهبانهم ، حتى أنه قد ورد أن الله ـــ تعالى ـــ إذا قال لعيسى ـــ عليه السلام ـــ يوم القيامة : ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾(٣) يسكت أربعين سنة خجلاً من الله ـــ تعالى ـــ(٤) ، حيث جُعل سبباً للكفر به وانتهاك حرمة جلاله ، فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من اطلاعهم على انتهاء حرمة الله تعالى ، وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق ، فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة !!؟؟، ومن عاشر أماثل الناس ورؤساءهم وله عقل قويم وطبع مستقيم ، غير طبع النصارى ، أدرك هذا فما آذى أحد عيسى ـــ عليه السلام ـــ مثل ماآذته هؤلاء النصارى ، نسأل الله العفو

(*) الدبر من كل شيء عقبه ومؤخرته .

(١) لم يكن التثليث قد ظهر دفعة واحدة فى المسيحية بل تولد عليها شيئاً فشيئاً إلى أن أُعلن نهائياً عند غالبيتهم فى نهاية القرن الرابع الميلادى [بالتحديد فى مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م] .
[انظر إغاثة اللهفان ٢/٢٧٤ محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٢٧٥ فما بعدها] .

(٢) قلت : انظر الآيتين [٧٢ ـــ ٧٣] من سورة المائدة ، والآيتين [٣٠ ـــ ٣١] من سورة التوبة .

(٣) المائدة : ١١٦ .

(٤) لم أجد ما يثبت ذلك فيما بين يدى من مصادر .

والعافية بمنه وكرمه .

الشبهة الخامسة :

أنه قال : إن القرآن الكريم شهد بتقديم بِيَع النصارى وكنائسهم على مساجد المسلمين بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾[1] .

فقد جعل الصوامع والبيع[2] مقدمات على المساجد ، وجعل فيها ذكر الله كثيراً ، وذلك يدل على أن النصارى ــ فى زعمهم ــ على الحق ، فلا ينبغى لهم العدول عما هم عليه ؛ لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل .

الجواب على هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : أن المراد بهذه الآية أن الله ــ تعالى ــ يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار فى كل عصر[3] ، فما من زمان إلا وفى أهله من الأخيار ، فيكون وجود **الأخيار سبباً لسلامة الأشرار من الفتن والمحن ، فزمان موسى ـ عليه السلام ـ سلم فيه** أهل الأرض من بلاء يعمهم ، بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية ، **وزمان عيسى ــ عليه السلام ــ سلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة** على الشريعة العيسوية ، وزمان محمد ــ ﷺ ــ يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المحمدية ، وكذلك سائر الأزمان الكائنة بعد الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، كل من كان مستقيماً على الشريعة الماضية هو سبب لسلامة البقية ، فلولا أهل الاستقامة فى زمن موسى ــ عليه السلام ــ لم تبق صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك فينقطع الخير بالكلية ، وكذلك فى سائر الأزمان

---

(١) الحج : ٤٠ .

(٢) سيلى فى نهاية الرد على هذه الشبهة شرح لمعنى كلمات « الصومعة » و « الصلاة » و « المسجد » .

(٣) ومن ذلك ما ذكره أهل العلم من السلف عن وجود « الأبدال » وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر . وقد قيل إنهم أربعون رجلا وأنهم بالشام ، هذا مما رواه الإمام أحمد فى المسند عن على بن أبى طالب ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . وقد أورد السيوطى جملة من هذه الأحاديث فى جمع الجوامع [١/١٩٠ ، ١/٣٩١] انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى [٢/٣٣٩ ــ ٣٤] حديث [٩٣٥ ، ٩٣٦] .

فلولا أهل الخير فى زماننا لم يبق مسجد يعبد الله فيه على الدين الصحيح ، ولغضب الله تعالى على أهل الأرض .

الصوامع : أمكنة الرهبان فى زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح ، وكذلك « **البيعة** »و « **الصلاة** » و« **المسجد** » ، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله ــ تعالى ــ فيها وبدلت شرائعه ، وكانت محل العصيان والطغيان ، لا محل التوحيد والإيمان ، وهذه المواطن فى أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها ، إنما النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث ، وكُذِّبت الرسل والأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، وصار ذلك يُتلى فى الصباح والمساء فحينئذ هى أقبح بقعة على وجه الأرض وألعن مكان يوجد فلا تجعل هذه الآية دليلاً على تفضيلها .

ثانيها : أن الله تعالى قال : ﴿ **صوامع وبيع وصلوات** ﴾ بالتنكير ، والجمع المنكر لا يدل عند العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق ، ونحن نقول إنه قد وقع فى الدنيا ثلاث من البيع ، وثلاث من الصوامع ، كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى ثلاثة مساجد ، وذلك أن البيع التى كان ــ عيسى عليه السلام ــ وخواصه من الحواريين يعبدون الله ــ تعالى ــ فيها هى أفضل من مساجد ثلاثة أو أربعة لم يُصَلِّ فيها إلا السفلة من المسلمين ، وهذا لا نزاع فيه ، إنما النزاع فى البيع والصوامع على العموم ، واللفظ لا يقتضيه لأنه جمع منكر ، وإنما يقتضيه إن كان مُعَرَّفاً كقولنا : « البيع » ــ بالألف واللام .

ثالثها : إن هذه الآية تقتضى أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى ، على عكس ما قالها هذا الجاهل بلغة العرب ، وتقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة ، والقاعدة العربية : أن الترقى فى الخطاب إلى الأعلى فالأعلى أبداً ، فى المدح والذم والتفخيم والامتنان ، فيقال فى المدح : الشجاع البطل ، ولا يقال : البطل الشجاع ، لأنك تعد راجعاً عن الأول .. وفى الذم : العاصى الفاسق ، ولا يقال : الفاسق العاصى ...، وفى التفخيم : فلان يغلب المائة والألف ، ولا يقال : فلان يغلب الألف والمائة ..، وفى الامتنان : لا أبخل عليك بالدرهم ولا بالدينار ، ولا يقال بالدينار والدرهم

والسر فى الجميع أنك تعد راجعاً عن الأول كقهرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه .

إذا تقرر ذلك ظهرت أفضلية المساجد ومزيد شرفها على غيرها ، وإن هدمها أعظم من هدم غيرها ، لا يوصل إليه إلا بعد تجاوز ما يقتضى هدم غيرها ، كما نقول : لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال والأمراء ، فترتقى أبداً للأعلى فالأعلى ؛ لتفخيم أمر عزم السلطان[1] ، وأن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف ، أما لو قلت : لولا السلطان لهلك الأبطال والصبيان ، لعُدَّ كلامك متهافتاً .

رابعاً : أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع على وجه الأرض للعابدين من وجه آخر ، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور ــ هذا على احتمال خلاف قوة الكلام وسياقه على وجه المشروح لا أن الضمير راجع إلى جماعة ما ذكر ــ، فإذا قلت : « جاء زيد وخالد وأكرمته » فالإكرام خاص بخالد لأنه الأقرب ، فقوله تعالى : ﴿ **يذكر فيها اسم الله كثيراً** ﴾ يختص بالأخير الذى هو المساجد ، لأن قوله فيها ضمير يختص بالقريب ــ وهذا قول المفسرين ــ فتكون المساجد قد اختصت بكثرة ذكر الله ــ تعالى ــ، وهو يقتضى أن غيرها لم يساوها فى كثرة الذكر ، فتكون أفضل وهو المطلوب .

فائدة : [فى معنى : « الصومعة » و « الصلاة » و « المسجد »] :

الصومعة : موضع الرهبان ، وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته ، ومنه قول العرب : أصمعت الثريدة ، إذا رفعت أعلاها ، ومنها قولهم : رجل أصمع القلب إذا كان حاد الفطنة .

والصلاة : اسم لمتعبَّد اليهود ، وأصلها بالعبرانى صلوتا فَعُرِّبَت .

والبِيَع[2] : اسم لمتعبد النصارى ، اسم مرتجل غير مشتق .

والمسجد : اسم مكان السجود ، فإن مَفْعِلاً فى لسان العرب اسم للمكان واسم للزمان الذى يقع فيه الفعل نحو : المضرب ــ لمكان الضرب وزمانه .

الشبهة السادسة :

قال : إن القرآن دل على تعظيم الحواريين[3] والإنجيل وأنه غير مُبَدَّل لقوله ــ

---

(١) عزم السلطان : قوته وصرامة أمره .

(٢) مفردها : بيعة .

(٣) ذلك فى مثل قوله تعالى بآخر سورة الصف : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن

تعالى ـ: ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب** ﴾[1] ، أى من التوراة والإنجيل ، وإذا صَدَّقَهما لا تكون مُبدِّلة ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك ، لشهرتها فى الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها ، ولقوله ـ تعالى ـ فى القرآن : ﴿ **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾[2] ، ﴿ **الكتاب** ﴾ **هو : الإنجيل** ، لقوله تعالى : ﴿ **فإن كذبوك فقد كُذِّبت رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** ﴾[3] و ﴿ **الكتاب** ﴾ هنا هو الإنجيل ، ولأنه ـ تعالى ـ لو أراد القرآن لقال بهذا ، .... ولقوله تعالى : ﴿ **آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾[4] .

الجواب على هذه الشبهة :

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه ، وأنهم من خواص عباد الله الذين اتبعوا عيسى ـ **عليه السلام ـ ولم يبدلوا ، وكانوا معتقدين بظهور محمد ـ ﷺ ـ فى آخر الزمان ، على مادلت عليه كتبهم ، ـ وهو ما سأذكره فى الباب الرابع ـ إن شاء الله تعالى ـ ، وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم .**

وأما تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه : أن الكتب المنزلة المتقدمة عند نزولها : **قبل تغييرها وتخبيطها ، كانت حقاً موافقة للقرآن ، والقرآن موافق لها ، وليس المراد الكتب** الموجودة اليوم ، فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرف إلى المنزلين ، وسأبين أن الموجود الآن غيرهما فى كثير من المعانى والوجوه .

وأما قوله تعالى : ﴿ **ذلك الكتاب** ﴾ **وأنه المراد به الإنجيل فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب ، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلا ، وقد أخبر الناطق بهذا اللفظ ، وهو رسول الله ـ ﷺ ـ أن المراد هذا الكتاب[5] ، كيف يليق أن يحمل على غيره ، فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه فى قول نفسه ، إنما ينازع فى تفسير قول غيره إن أمكنت منازعته**

= مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ .

(١) المائدة : ٤٨ .
(٢) البقرة : ١ ـ ٢ .
(٣) آل عمران : ١٨٤ .
(٤) الشورى : ١٥ .
(٥) أى القرآن الكريم .

للإشارة فى اللغة العربية ثلاثة احوال:

وأما الإشارة بـ ﴿ **ذلك** ﴾ التى اغتر بها هذا السائل ، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال :

« ذا » للقريب ...

،و« ذاك » للمتوسط ...

،و« ذلك » للبعيد ..

لكن البعد والقرب يكونان : تارة بالزمان وتارة بالمكان ، وتارة بالشرف ، وتارة بالاستحالة ، ولذلك قالت زليخا[1] فى حق يوسف ــ عليه السلام ــ، لما اجتمعت مع نسوة بالمدينة ، ويوسف ــ عليه السلام ــ بالحضرة وقد قطعن أيديهن من الدهشة بحسنه : ﴿ **فذلكن الذى لمتننى فيه** ﴾[2] إشارة لبعده ــ عليه السلام ــ فى شرف الحسن ، وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته فى الشرف أشير إليه بـ « ذلك » ، وقيل : أشير إليه بـ « ذلك » لبعد مكانه لأنه مكتوب فى اللوح المحفوظ ، وقيل : لبعد زمانه لأنه وُعد به فى الكتب المنزلة قديماً ، وقيل : لما كان أصواتاً والصوت يستحيل بقاؤه فصار بسبب هذه الاستحالة فى غاية البعد لأن المستحيل أبلغ من البعيد .

وأما قوله تعالى : ﴿ **جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** ﴾ فاعلم أن اللام[3] فى لسان العرب تكون :

لاستغراق الجنس : نحو : حرم الله الخنزير والظلم .

وللعهد : نحو قولك لمن رآك أهنت رجلاً : « أكرمت الرجل بعد إهانته » .ــ، ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها .

فتحمل فى كل مكان على حسب ما يليق بها ، فهى فى قوله تعالى : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ للعهد ، لأنه موعود به ، مذكور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فصار معلوماً فأشير إليه بلام العهد ....، وهى فى قوله تعالى : ﴿ **بالبينات والزبر والكتاب** ﴾ للجنس ، إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة [وليس] المراد هٰهنا [غير ذلك] .

---

(١) انظر تفسير الحافظ ابن كثير [٢/٤٩٠] .

(٢) يوسف : ٣٢ .

(٣) يعنى : أل ، أى ألف ولام التعريف .

ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهماً متقناً .

وقوله تعالى لنبيه ــ عليه السلام ــ [وهو] أمر له ــ بأن يقول : ﴿ آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾[1] فالمراد الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمترى فيه عاقل .

عدم موثوقية الأناجيل المتداولة :

ونحن ننازعهم فى أن ما بأيديهم الكتب المنزلة بل هى مبدلة مغيرة وفى غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ والرواية والسند ، بحيث لا يوثق بشىء منها .

الأناجيل التى يعترف بها نصارى اليوم :

وبيانه أن الأناجيل خمسة ، يعرف النصارى منها أربعة مشهورة ، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم .

فالأربعة :

[الأول] : إنجيل متى[2] وهو من الحواريين الإثنى عشر ، وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين ، بعد صعود المسيح ــ عليه السلام ــ إلى السماء بثمان سنين ، وعدة إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحاً[3] .

---

(١) التحريم : ١٥ .

(٢) إنجيل متى : كتبه متى وهو أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر ويسميهم النصارى رسلاً ــ مات سنة ٧٠ ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، وقيل أنه طعن برمح سنة ٦٢ بالحبشة ، وقد اتفق جمهور النصارى على أنه كتب الإنجيل بالعبرية أو السريانية ، واختلفوا فى تاريخ تدوينه ، كما اختلفوا فى تاريخ ترجمته إلى اليونانية ، كما لا يُعرف من الذى ترجمه ، ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التى كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التى ترجم عنها والتى ترجم إليها ، كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات فى البحث العلمى

[محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٨ فما بعدها]

(٣) قلت : ذكر المُصنِّف ــ رحمه الله ــ فيما يلى من الصفحات أن عدد إصحاحات الأناجيل الأربعة المتداولة فى عصره كالآتى : متى ٦٨ إصحاحاً ، مرقس ٤٨ إصحاحاً ، لوقا ٨٣ إصحاحاً ، يوحنا ٣٣ إصحاحاً . أما ما بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم فقد وجدنا أن عدد إصحاحاتها كل منها كالآتى : متى ٢٨ إصحاحاً ، مرقس ١٦ إصحاحاً ، لوقا ٢٤ إصحاحاً ، يوحنا ٢١ إصحاحاً .

[*الثانى*] : إنجيل مرقس ، وهو من السبعين[1] وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية[2] بمدينة رومية [3] بعد صعود المسيح ــ عليه السلام ــ بإثنى عشر عاماً وعدد إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحاً .

[*الثالث*] : إنجيل لوقا[4] وهو من السبعين[5] وبشر بإنجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدد إصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحاً .

---

(١) يقول المؤرخون إن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الإثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح ، وأصله من اليهود ، وكانت أسرته بأورشليم فى وقت ظهور المسيح ، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى اعتقادهم من بعد رفعه ، وأتموا التبشير بالمسيحية كما أتموا مبادئها . وقد كُتب هذا الإنجيل باليونانية .

(٢) أجمع مؤرخو النصارى على أنه كتب باليونانية .

(٣) هى روما عاصمة إيطاليا اليوم .

وقد اختلف فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل وفى كاتبه [انظر كتاب محاضرات فى النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٥٥ فما بعدها] :

(٤) تبين أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل ، فمن قائل أنه أنطاكى ولد بأنطاكية ، ومن قائل أنه رومانى ولد بإيطاليا ، ومن قائل أنه كان طبيباً ، ومن قائل أنه كان مصوراً ، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حواريه ، كما اختلفوا فى القوم الذين كتب لهم ، وفى تاريخ تأليفه ، وقد كتب باليونانية .

[كتاب الشيخ أبو زهرة ــ مرجع سابق/ص ٥٧ فما بعدها]

(٥) قلت : لم يكن لوقا من السبعين ولم ير المسيح وإنما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه ، وأول إنجيله شاهد بذلك إذ يقول فيه : « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أنيها العزيز ثاوفيلس » .

وقد ذكر القرافى ــ رحمه الله ــ ما يؤيد هذا الرأى فى موضع لاحق عند حديثه عن تناقض الأناجيل وسيأتى بعد قليل

[الرابع] : إنجيل يوحنا[1] وهو من الإثنى عشر[2] ، بشر بإنجيله فى مدينة أفسس من بلاد رومية[3] بعد صعود المسيح ــ عليه السلام ــ بثلاثين سنة ، وعدة إصحاحاته فى النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحاً .

[الإنجيل الخامس][4] : يسمى إنجيل **الصبوة** ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح فى حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم ــ عليها السلام ، وفيه زيادة ونقصان ، وقد ترك كثيراً من أعلام المسيح ــ عليه السلام ــ، ومشاهير معجزاته ، ويذكر فيه قدوم المسيح ــ عليه السلام ــ وأمه ــ رضى الله عنها ــ ويوسف النجار إلى صعيد مصر ، ثم عودته إلى ناصرة (قرية عند **بيت المقدس** وإليها ينسب النصارى) .

---

(١) يقول جمهور النصارى إن كاتب الإنجيل هو يوحنا الحوارى بن زبدى الصياد الذى كان يحبه المسيح ، حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب ــ على زعمهم ــ وهو من أخطر الأناجيل لأنه تكلم بصراحة عن ألوهية المسيح والتثليث ، وقد اختلفوا فى تاريخ تدوينه ما بين سنة ٦٨ حتى ٩٨ ميلادية ، وقد انفرد بذكر ألوهية المسيح ، وهذا مما لم تقله الأناجيل الثلاثة السابقة عليه .

وفى دائرة المعارف البريطانية التى وضعها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : « أما إنجيل يوحنا فإنه ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه [محاضرات فى النصرانية ٦٠ ــ ٦١ بتصرف] .

(٢) ليس مقطوعاً بالضبط أن يوحنا أحد الإثنى عشر ، والغرض من هذا الإنجيل إثبات ألوهية المسيح ، وذلك فى نهاية القرن الأول الميلادى ، فلابد أن يكون يوحنا آخر سوى الحوارى .

(٣) ليس المراد أنها فى إيطاليا ، بل هى بلاد الأناضول ، لأن أفسس ليست من بلاد إيطاليا ، بل هى قبالة زاوية خليج الإسكندرونة ، وتوجد أفسس أخرى قرب أزمير .

(٤) **الأناجيل الأربعة السابقة هى التى تعترف بها الكنائس ، وتقرها الفرق النصرانية وتأخذ بها ، ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ولم تعتق كل فرقة إلا إنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى إنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وإنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وإنجيل سرن تهس ، وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة ــ فى اعتقادها ــ فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة أبان ذلك .**

[كتاب محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ ، ص ٦٨]

وأضيف : أن الدكتور سعادة مترجم إنجيل برنابا قال فى مقدمته بعد أن أفاض فى الاحتمالات والآراء فى إنجيل برنابا : « بيد أن هناك انجيلاً يسمى بالإنجيل الأغنطسى طمست رسومه وعفت آثاره » . ا . هـ .

بيان تناقض الأناجيل الأربعة

وفى هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها البعض أمر عظيم ، حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله ــ تعالى ــ وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم وأن نقلته أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات ، وأمور غير مسموعة من المسيح ــ عليه السلام ــ ولا من أصحابه ، مثل حكاية صورة الصلب ، والقتل واسوداد الشمس ، وتغير لون القمر ، وانشقاق الهيكل ، وهذه الأمور إنما جرت فى زعمهم بعد المسيح ــ عليه السلام ــ بسبب قتله ــ كما يزعمون ــ فكيف تُجعل من الإنجيل ، والإنجيل الحق إنما هو الذى نطق به المسيح ــ عليه السلام ــ[1] وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل ، لا سيما وهو أربعة والمنزل واحد ، وهذه الأربعة أمليت فى أقطار الأرض المتباعدة ، بلغات مختلفة ، وأقلام متباينة ، مع أن كل واحد منها ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر ، فليت شعرى ، أى منها أو فيها هو من المنزل من عند الله تعالى ؟؟!! ، والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد ، ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين بل نقلا عن غيرهما عن المسيح ــ عليه السلام ــ، فهما نقلا كلام غير المسيح ــ عليه السلام ــ والحجة إنما هى فى كلامه ــ عليه السلام ــ فلا حجة فى هذين الإنجيلين[2] البتة .

وقد قال لوقا فى صدر إنجيله : « **إن أناساً راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون ، كما عهد إلينا ، أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب إليك أيها الأخ العزيز تأويلاً تعرف به حقائق الأمر الذى وعظت به** »[3] .

فقد اعترف أنه لم يلقَ المسيح ــ عليه السلام ــ ولا خدمه ، وإنما كتابه تأويلات

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية [ص ٦٦ ــ ٦٨] للشيخ محمد أبو زهرة ــ رحمه الله ــ ط . رئاسة الافتاء والإرشاد السعودية [الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ] .

(٢) يعنى إنجيل لوقا وإنجيل مرقس .

(٣) فيما بين أيدينا من نسخ إنجيل لوقا المتداولة اختلاف عما سطره القرافى ، ولعل هذا راجعاً لاختلاف ترجمات إنجيل لوقا من اليونانية إلى العربية .

جمعها مما وعظ به خدام الكلمة .

وها أنا أسرد تناقضاتها لتعلم تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها ، فإنه ليس البعض أولىٰ من البعض .

التناقض الأول :

قال يوحنا : من يوسف خطيب مريم ــ عليها السلام ــ وهو المسمى النجار ــ إلى إبراهيم ــ عليه السلام ــ اثنان وأربعون ولادة .

وقال لوقا : أربع وخمسون .

التناقض الثانى :

قال لوقا : قال جبريل الملك لمريم بناصرة : « **إنك ستلدين ولداً اسمه يسوع يجلس الرب على كرسى أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب** » .

وكذبه يوحنا وغيره فقال : بل حمل يسوع هذا الذى وعده الله بالملك إلى القائد « بيلاطس » ، وقد ألبسه شهرة الثياب ، وتَوَّجَهُ بتاج الشوك ، وصفعوه وسخروا منه ، ففاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم ، فقال له : أما تعلم أن لى عليك سلطاناً ، إن شئت صلبتك ، وإن شئت أطلقتك ، فأجابه يسوع ــ عليه السلام ــ: « **لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك علىّ سلطان ، ومن أجل ذلك خطيتى التى أسلمتنى إليك عظيمة** »[1] ، وصلبه بعد ذلك .

---

(١) قلت تنبيهاً : أكثر النصوص التى كتبها القراق ــ رحمه الله ــ من الإنجيل فى كتابه الذى بين أيدينا الآن نجد أنها لا تتطابق تماماً مع النصوص التى بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم ، بل وأحياناً لا تجد للنص أثراً فى الأناجيل المتداولة ، وهذا أفسره بشيئين .

١ ــ الترجمة من لغة لأخرى تعطى اختلافاً فى النص ، والأناجيل إنما كتبت بلغات غير العربية ، بل وقد تكون ترجمت إلى لغات أخرى غير التى كتبت بها ثم نقلت من اللغات الأخرى إلى العربية ، مما يعطى اختلافاً فى معانى النصوص يختلف بحسب المترجم .

٢ ــ أما فى حالة عدم وجود نص يماثل نصاً أورده القراق فلعل هذا يرجع إلى تحريف أحدثه بعضهم ــ فى النصوص القديمة ــ وحذف وتزوير .

وفى عدد مجلة آخر ساعة رقم ٢٤٦٠ فى ١٩٨١/١٢/١٦ ما نصه : « ظل العالم النصرانى الذى يقرأ الإنجيل بالإنجليزية محافظاً على الترجمة المعروفة باسم الملك جيمس الأول ، وكان المتعلمون من النصارى يقرءون الإنجيل قبل هذا باللغة اللاتينية ، فلما ظهرت القوميات الأوروبية المختلفة بدأ فى ترجمة الإنجيل من اللاتينية ومن العبرية إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، ومرت على هذه الترجمة أكثر من ثلاثمائة سنة ، إذ ظهرت فى سنة ١٦٦١ م =

وهو تناقض فاحش ، أحدهما يجعل يسوع ــ عليه السلام ــ ملكاً عظيماً لبنى إسرائيل ، والآخر يصفه بصفة الذلة والمهانة ، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط إما على رأيهم ــ فلأنه صُلب وهو فى غاية الخمول ــ، وإما على رأينا ــ فلأن الله تعالى رفعه من غير ملك ولا مهانة ــ، فهذا لا أصل له ، ثم إن محاورة تجرى بين جبار وعيسى ــ عليه السلام ــ أى شيء أدخلها فى الإنجيل المنزل من السماء ؟؟!!، بل نقطع بأن هذا غير منزل .

التناقض الثالث :

قال لوقا : لما نزل بيسوع ــ عليه السلام ــ الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه ، وكان يصلى متواتراً وصار عرقه كعبيط[1] الدم .

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا ، وإذا **تركوا** ذلك لم يُؤمَن أن يتركوا ما هو أهم من الفرائض والأحكام ، وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً فى النسخ الأخرى ، وهذا هو التحريف والتبديل ، مع أن نقل لوقا يقتضى رفع المسيح ــ عليه السلام ــ إلى السماء ، لأن المَلَك لا تغلبه اليهود ، وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع ، هذا ظاهر الحال وهو مبطل معتقد النصارى فى الصلب .

ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره ، وإن كان للناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت ، فما حصل الاتحاد الذى يقولونه .

التناقض الرابع :

قال يوحنا ــ وهو أصغر الأربعة ــ: « **إن أول آية أظهرها المسيح ــ عليه السلام ــ تحويل الماء خمراً** » .

ولم يذكرها الثلاثة ، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين وإن كانت لم تتضح عندهم ، فكيف ينقل دين عن شخص واحد وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر ؟؟!!

=وفى خلال هذه القرون الثلاثة حلت فى اللغة السائدة بين الناس كلمات جديدة مكان الكلمات القديمة ، وتغير تركيب الجمل والعبارات ، فقام الأمريكيون منذ بضع سنوات بوضع صياغة جديدة للإنجيل تتماشى مع التعبيرات السائدة فى أيامنا هذه وعرفت هذه الصياغة الجديدة باسم الطبعة الشعبية للإنجيل ، ولم يعترض رجال الدين عليها » .

(١) العبيط من الدم : الخالص الطرى .

التناقض الخامس :

قال يوحنا : إن المسيح ــ عليه السلام ــ غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان فى وسطه وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع .

ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر ، فإن كان كذباً دخل الخلل ، وإن كان صدقاً **فَلِم أغفلوه ؟ فدخل الخلل** .

التناقض السادس :

قال يوحنا : قال يسوع ــ عليه السلام ــ: « **إنى لو كنت أنا الشاهد لنفسى لكانت شهادة باطلة ، ولكن غيرى يشهد لى ، فأنا أشهد لنفسى وأبى أيضاً يشهد لى أنه أرسلنى** .. » ، وقالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة ، **فجعلوا الله** ــ تعالى ــ رجلاً ، وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها ، وهذا كلام ينزه عنه المسيح ــ عليه السلام ــ وأصحابه .

التناقض السابع :

قال يوحنا : لما مضى المسيح ــ عليه السلام ــ ليوحنا المعمدانى [1] ليتعمد منه ، قال له المعمدانى حين رآه : هذا خروف الله الذى يحمل خطايا **العالم** ، وهو الذى قلت لكم **إنه** يأتى به بعدى وأنه أقوى منى .

وقال متى : لما رآه **المعمدانى** قال : إنى المحتاج إلى أن أنصبغ على يديك ، فكيف جئتنى تنصبغ على يدى ..، وأرسل إليه بعد ذلك : أأنت الآتى أو ننظر غيرك ؟

ومرقس لم يقل شيئاً من ذلك .

فاختلف الثلاثة : فجزم الأول ، وجعله الثانى غير عالم حتى يسأله ، وسكت الثالث بالكلية ..

التناقض الثامن :

قال متى : يوسف خطيب مريم ــ عليها السلام ــ، اسم أبيه يعقوب .

وقال لوقا : أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف ابن هال ..، فجعل اسم أبيه هال ، والأول جعله يعقوب ، وهو تكاذب .

ثم **إن** قضية عيسى ــ عليه السلام ــ فى كونه ولد من غير أب كانت فى غاية

---

(١) يعنى النبى يحيى ــ عليه السلام ــ، وكان ابن خالة المسيح عيسى عليه السلام .

الشهرة عند بنى إسرائيل حتى آذوا مريم ــ عليها السلام ــ **إيذاء عظيماً** برميها بالزنا ، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض ، فيكف يخفى على عيسى ــ عليه السلام ــ ذلك ثلاثين سنة ؟؟!! .

التناقض التاسع :

قال متى : صُلب مع المسيح ــ عليه السلام ــ لصان ، عن يمينه وعن شماله ، كانا يهزءان به جميعاً ويعيرانه .

وقال لوقا : إنما هزأ به أحدهما ، وكان الآخر يقول لصاحبه : أما تتقى الله ــ تعالى ــ، أما نحن فبالعدل جوزينا ، وأما هذا فلم يعمل قبيحاً . ثم قال للمسيح ــ عليه السلام ــ: اذكرنى فى ملكوتك ، فقال : حقاً إنك تكون معى اليوم فى الفردوس .

فكذب قول متى أنهما يهزءان به ، وأغفل هذه القضية مرقس ويوحنا ، ومن المحال أن يحدث مثل هذا ولا يشيع فى ذلك الوقت ، فإن كان صحيحا فلم تركاه ؟؟، أو كذباً فلِمَ اختلقه الآخر ؟؟ .

التناقض العاشر :

قال لوقا : إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ؛ ولكن لينجى .

وقال الباقون ; ابن الإنسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاما ، ليكن سيفاً ويضرم فيها نارا .

وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه ؛ لأن الأول جعله رحمة للعالمين ، والآخرون جعلوه نقمة عليهم .

التناقض الحادى عشر :

قال متى : إن مريم ــ عليها السلام ــ خادمة المسيح ــ عليه السلام ــ جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى ، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا ، قد قام من بين الأموات ، ثم لقيتا المسيح وقال : لا بأس **عليكما**، قولا لإخوانى ينطلقون إلى الجليل .

وقال يوحنا : جاءت وحدها يوم الأحد بغلس(*) ، فرأت الصخرة رُفعت عن القبر

(*) الغَلَس : ظُلمة آخر الليل .

فأسرعت إلى شمعون وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح ـــ عليه السلام ـــ قد أخذ من المقبرة ولا أدرى أين دفن ؟؟، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فبينما هى كذلك التفتت فرأت المسيح ـــ عليه السلام ـــ قائماً ، فلم تعرفه ، وحسبته حارس البستان ، فكلمها فعرفته ، وقال لها إنى لم أصعد بعد ، اذهبى إلى إخوانى فقولى : « **إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم** » .

فأحدهما يقول : إن الملك هو الذى أمَّنها ، والآخر يقول هو المسيح ـــ عليه السلام ـــ:

وأحدهما يقول عشية السبت ، والآخر يقول يوم الأحد .

وأحدهما يحكى عن مريم وحدها ، والآخر عنها مع غيرها .

ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لاعتقادهم ، ويقولون قد قال : « **إنى منطلق إلى أبى** » ، ويغفلون عن قوله : « **وأبيكم** » وعن قوله : « **وإلهكم** » ، ويقبلون فى أصل دينهم قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام لو وجد فى كلام المغفلين لم يُقبل واستهجن ، ولا يظهر فى مرآة عقلهم كيف يعبدون من وُلد فى رطوبات الأرحام ودمائها ، ونشأ فى ضعف الطفولة ولأوائها(*) ، تعتوره(**) الأمراض والأسقام والأفكار والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام ، ثم يُصفع على زعمهم ، ويُصلب ، ويُهان ، ويبكى عليه ، ويندب بالثكلان ، ويلتبس على من رآه بناطور(***) البستان ، فلو أن اليهود بالغوا فى الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن **يقولوا** أكثر من هذا الهذيان(١) .

(*) اللأواءُ : الشدة .

(**) اعْتَوَرُوا الشيء : تداولوه فيما بينهم .

(***) الناطور : الحارس .

(١) قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ: من المعلوم أن هذه الأمة ـــ يعنى النصارى ـــ ارتكبت محذورين عظيمين ، لا يرضى بهما ذو عقل ، ولا معرفة :

أحدهما : الغلو فى المخلوق ، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه ، وإلهاً آخر معه ، وأنفوا أن يكون عبداً له .

والثانى : تَنَقُّص الخالق وسَبُّه ، ورميه بالعظائم ، حيث زعموا أنه ـــ سبحانه وتعالى ـــ عن قولهم علواً كبيراً ـــ نزل من العرش عن كرسى عظمته ، ودخل فى فرج امرأة ، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو [وهو ما يخرج من البطن من ريح وغائط] ، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن ، ثم خرج من =

التناقض الثانى عشر:

صعود المسيح ــ عليه السلام ــ إلىٰ السماء أغفله يوحنا ومتى وهما من الحواريين الإثنى عشر[1] ، وذكره لوقا ومرقس وليسا من الحواريين واختلفا ، فقال مرقس : إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليماً ثم صعد من يومه ، وخالفه لوقا فقال : إنماصعد بعد قيامه بأربعين يوماً ، مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغى أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم .

التناقض الثالث عشر:

قال متى : قال يسوع : « حقاً أقول لكم ، إن قوماً من القيام هٰهنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته » ؛ ومات القيام ومن بعدهم ، فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء ، وهو يخرم الثقة بجميع ما يقولونه .

التناقض الرابع عشر:

قال متى : قال المسيح ــ عليه السلام ــ للتلاميذ الاثنى عشر : « **أنتم الذين تكونون فى الزمن الآتى جلوساً على اثنى عشر كرسيا ، تدينون اثنى عشر سبطا من بنى إسرائيل** » .

فشهد للكل بالفوز والزعامة ... ثم نقض ذلك **متى** بنفسه فقال : « **مضى أحد التلاميذ الاثنى عشر ، وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع بثلاثين**

= حيث دخل ، رضيعاً يمص الثدى ، ولُف فى القمط ، وأودع السرير ، يبكى ويجوع ، ويعطش ويبول ، ويتغوط ، ويحمل على الأيدى والعواتق ، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه ، وربطوا يديه ، وبصقوا فى وجهه ، وصفعوا قفاه ، وصلبوه جهراً بين لصين ، وألبسوه إكليلاً من الشوك ، وسمّروا يديه ورجليه ، وجرّعوه أعظمَ الآلام ، هذا وهو الإلٰه الحق الذى بيده أتقنت العوالم ، وهو المعبود المسجود له ، ولعمر الله إن هذه مَسَبَّة لله سبحانه ما سبَّه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم ، كما قال تعالى فيما يحكى عنه رسوله الذى نزّهه ونزه أخاه المسيح عن هذه الباطل الذى : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هَدًّا ﴾ [مريم : ٩٠] ، فقال : شتمنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك ، وكذبنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك ، أما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لى كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته ، [إغاثة اللهفان ٢/٢٨٢ ــ ٢٨٤] .

(١) قلت : ليس مقطوعاً بالضبط أن يوحنا كان من الإثنى عشر ، وقد ذكرتُ ذلك سابقاً .

درهما ، وجاء بالشُّرط(*) إليه ، فقال له اليسوع : الويل لك ، خير لك أن لا تولد » .

التناقض الخامس عشر :

قال **متى** : لما حُمل يسوع إلى بيلاطس القائد قال : أى شر عمل هذا ؟؟، فصرخ اليهود وقالوا : يُصلب يُصلب ، فأخذ القائد ماء وغسل يده ، وقال : أناَ برىء من دم هذا الصديق ، وأنتم أبصر .

وكَذَّبَهُ يوحنا فقال : « بل ضرب يسوع ثم سَلَّمه إليهم » ...، وهو تناقض صريح :

نكتفى بهذا القدر :

ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل وما اشتملت عليه من الذلة والأباطيل ، ومَن طالع كتبهم وأناجيلهم ، وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيد سبأ(١) ، **وأنّ** القوم لا يلتزمون مذهباً .

والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ ، وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم ، حتى أنى أحلف بالله الذى لا إلٰه إلا هو أن **تاريخ الطبرى** عند المسلمين أصح نقلاً من الإنجيل !!، ويعتمد العاقل عليه أكثر ، مع أن التاريخ لا يجوز ــ عند المسلمين ــ أن يُبنى عليه شيء من أمر الدين ، وإنما هو حكايات فى المجالس ، ويقولون مع ذلك : الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا ، وأمر السيد المسيح باتباعه ، فليت شعرى أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى ؟؟، **وأين** كلماته من بين هذه الكلمات ؟؟

ثم الذى ينقلونه عن عيسى ــ عليه السلام ــ من لفظه ــ وهو القليل ــ لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله ــ تعالى ــ؛ لأن المسيح ــ عليه السلام ــ كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك ، فهذا كله ليس من عند الله ؛ ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد ــ ﷺ ــ من القرآن ، ونقل عنه القرآن نقلاً متواتراً يقطع بصحته خلفاً وسلفاً ، أما النصارى فلا

(*) الشرط : جمع شُرطه وشرطى .

(١) يقال : « تفرقوا أيدى ــ وأيادى ــ سبأ » ، يعنى مثل تفرق أولاد سبأ بن يشجب حين أرسل عليهم سيل العرم ، والأيدى يكنى بها عن الأولاد الأسرة لأنهم فى القوة بمنزلة الأيدى .

يتعين لهم شيء مما أنزل الله ــ تعالى ــ أبداً ، فضلاً عن نقله بعد تعيينه ، فانظر هذه الحال ما أشد بُعدها عن الصواب ، وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون ويجاهرون بقولهم : « نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله ــ تعالى ــ، وهو مضبوط عن الخلل برىء من الزلل » ..، فهم جديرون بأن يُضحك عليهم أبد الدهر ، وإن شئت قلت : يُبْكى عليهم .

وأعجب من ذلك : صومهم الذى يتكرر عليهم فى كل عام[1] ، يصومون نحو الشهر والشهرين ، فيهما واجب وغير واجب ــ بإجماعهم ــ، وإذا سألتهم : ما عدد الواجب ؟؟ لم تجد من يعرفه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يقول : النصارى غُرَّة[2] على ولد آدم .

الشبهة السابعة :

أنه قال : إن القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى : ﴿ **قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تبعدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين** ﴾[3] ، ولقوله تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم** ﴾[4] والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل[*] وقتلة الأنبياء[**] ، وبقوله تعالى : ﴿ **وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾[5] ، ولم يقل : « كونوا له مسلمون » .. وبقوله تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا**

---

(١) لابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ: إذا شئت أن ترى التغيير فى دينهم ، فانظر إلى صيامهم الذى وضعوه لملوكهم وعظمائهم ، فلهم صيام للحواريين ، وصيام لمارى مريم ، وصيام لمارى جرجس ، وصيام للميلاد ، وتركهم أكل اللحم فى صيامهم مما أدخلوه فى دين المسيح ، وإلا فهم يعلمون أن المسيح ــ عليه السلام ــ كان يأكل اللحم ، ولم يمنعهم منه لا فى صوم ولا فطر .

وأصل ذلك ، أن المانوية كانوا طا يأكلون ذا روح ، فلما دخلوا فى النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيُقتَلوا ، فشرعوا لأنفسهم صياماً ، فصاموا للميلاد والحواريين ، ولمارى مريم ، وتركوا فى هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب مانى ، فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النصارى فصارت سنة متعارفة بينهم .
[بعض التصرف/إغاثة اللهفان ٢ ــ ٢٨٧]

(٢) يقال : فلان غُرَّة أى قذر ، وهو يَغُرُّ قومه أى يُدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به .

(٣) الكافرون : ١ ــ ٦ . (*) البقرة : ٩٢ ، ٩٣ ، طه : ٨٨ .

(٤) العنكبوت : ٤٦ . (**) فى القرآن الكريم : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] .

(٥) العنكبوت : ٤٦ .

اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾[1] ، فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا ، ونفى عنّا الشرك بقوله : ﴿ والذين أشركوا ﴾ وسوّى بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[2] .

الجواب على هذه الشبهة :

أما قوله تعالى : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فمعناها : أن قريشاً قالت له ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعبد إلهنا عاماً ونعبد إلهك عاماً ، فأمره الله تعالى أن يقول لهم ذلك ، فليس المراد النصارى ، ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ معناه الموادعة والمتاركة ، فإن الله تعالى أول ما بعث نبيه محمداً عليه السلام أمره أولاً بالارشاد والبيان ليهتدى من قصده الاهتداء ، فلما قويت شوكة الإسلام أمره بالقتال بقوله تعالى : ﴿ يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾[3] .

قال العلماء : نسخت هذه الآية نيفاً وعشرين آية[4] ، منها : ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ وقوله : ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[5] ، وقوله : ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾[6] ، وغير ذلك .

وليس فى المتاركة والاقتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك وقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم ، فهى تدل على عكس ما قالوا .

وقوله تعالى : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ المراد من طغى ، ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة ، ولا يختص ذلك باليهود ، فإنا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف

---

(١) المائدة : ٨٢ . (٢) البقرة : ٦٢ . (٣) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩

(٤) قال الحافظ السيوطى فى « الناسخ والمنسوخ » : هذه الآية مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، وهى آية محكمة .

(٥) المائدة : ١٠٥ . (٦) الغاشية : ٢٢ .

القاطع والبيان الساطع ..، وأمره تعالى بأن نؤمن بما أنزل على أهل الكتاب صحيح ، ولكن أين المُنَزَّل ؟؟، والله أن وجوده أعز من عنقاء مغرب[1]، وقد تقدم بيانه فى تناقض الأناجيل .

وأما قوله تعالى : ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ فخاص بنا ، أمرنا تعالى أن نقول ذلك لنتبع فيه فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله ، ولو لم يكن لهم أمر لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **قل يـٰأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ **قل يـٰأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق** ﴾[3] وغير ذلك كثير .

وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة ، وأنهم متواضعون فَمُسَلّم ، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار وغضب الجبار ؛ لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالشجاعة والظرف واللطف وجودة العقل ، فليس فيه دليل على صحة دينهم .

وأما نفى الشرك عنهم فالمراد الشرك بعبادة الأصنام لا الشرك بعبادة الولد واعتقاد التثليث ، وسببه أنهم مع التثليث يقولون : الثلاثة واحد ، فأشاروا إلى التوحيد ــ بزعمهم ــ بوجه من الوجوه ، ويقولون نحن لا نعبد إلا الله ــ تعالى ــ لكن الله ــ تعالى ــ هو المسيح ، ونعبد المسيح والمسيح هو الله ، ــ تعالى الله عن قولهم ــ فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة ، ثم يعكسون ذلك فيقولون : الله ثالث ثلاثة ، وأما **عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه ، ولا يقول أحد منهم أن الصنم هو الله** ـ تعالى ــ، وكانوا باسم الشرك أولى من النصارى ، وكان النصارى باسم الكفر أولى حيث جعلوا الله ــ تعالى ــ بعض مخلوقاته ، وعبدوا الله ــ تعالى ــ وذلك المخلوق **فساووا عبدة الأوثان فى عبادة غير الله ــ تعالى ــ، وزادوا بالاتحاد والصاحبة والإد**

---

(١) فى شعر العرب :

وعلمت أن المستحيل ثلاثةٌ ... الغول والعنقاء والخل الوفى

والغول هى صنف من الجن والشياطين تتغول للناس فتهلكهم ، وقيل هم سحرة الجن ، وهم حقيقة وفى الحديث : « إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان » ، والعنقاء طائر خرافى عظيم معروف الاسم مجهول الجسم

(٢) آل عمران : ٦٤ .

(٣)

فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها فى اللغة مدحاً ــ لا تصويباً ــ لما هم عليه .

الشبهة الثامنة :

أنه قال : فى مدح قربانا وتواعدنا إن أهملنا ما متعنا به بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين** ﴾[1] .

فالمائدة هى القربان الذى يُتقرب به فى كل قداس[2] .

والجـــواب :

إن من العجائب أن يدعى أن المائدة التى نزلت من السماء هى القربان الذى يتقربون به ، مع أن الذى يتقربون به من مصنوعات الأرض !!، وأين المائدة من القربان ؟؟ نعوذ بالله ــ تعالى ــ من الخذلان ؛ بل معنى الآية أن الله ــ تعالى ــ طرد عادته وأجرى سنته أنه متى بعث للعباد أمراً قاهراً للإيمان لا يمكن للعبد معه الشك ، فمن **لم يؤمن به بعد عجّل له العذاب ، لقوة ظهور الحجة ، كما أن قوم صالح لما أخرج الله** لهم الناقة من الحجر فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب ، وكانت هذه المائدة جسما كينونيا عليه خبز وسمك ينزل من السماء يُقَوِّت القليل منه الخلق الكثير العظيم العدد ، فأمرهم أن يأكلوا ولا يدخروا ، فخالفوا وادخروا فمسخهم الله ــ تعالى ــ.

ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء ، فأخبر ــ تعالى ــ أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة عجلت له العقوبة ، ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة ، بل المائدة معجزة عظيمة خارقة ، والقربان أمر معتاد ليس فيه شىء من الإعجاز البتة ، فأين أحد البابين من الآخر ؟؟، لولا العمى والضَّلال .

---

(١) المائدة : ١١٢ ــ ١١٥ المائدة .

(٢) انظر الباب الثالث من الفصل الثالث من كتاب « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » للمهتدى عبد الله ابن الترجمان الذى كان قسيساً وهداه الله فأسلم فقد فضح فيه هذه النقطة ورد عليها بأناجيلهم كما ذكر صفة القربان وكيف يصنعونه ... إلخ ، وقد يسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب لمكتبة القرآن بالقاهرة .

الشبهة التاسعة :

ومنها : أنه قال : إن الله ــ تعالى ــ أخبر خبراً جازماً أنا نؤمن بعيسى ــ عليه السلام ــ بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾[1] ، فكيف نتبع من أخبر الله ــ تعالى ــ عنه أنه شاك فى أمره بقوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين** ﴾[2] ، وأمره فى سورة الفاتحة أن يسأل الهداية إلى صراط مستقيم : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين** ﴾[3] ، والمنعم عليهم هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود ، والضالون عبدة الأصنام .

والجــواب :

إن النصارى لما لعبوا فى كتابهم بالتحريف والتخليط صار ذلك لهم سجية ، وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية ، فسهل عليهم تحريف القرآن ، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة ، والقرآن الكريم برىء من ذلك ، وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان بل بمجرد الأوهام والوسواس .

أما قوله تعالى : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ففيه تفسيران :

أحدهما : إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت ظهر لهم منه الإنكار عليه بسبب ما كان عليه من الكفر ، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه ويؤمن بالحق على ما هو عليه؛ فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال ، بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق ومنهاج الحق ، وكذلك يوم القيامة بعد الموت ، لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به ، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكناً من الكفر ، فإذا عدل عنه وآمن بالحق ؛ كان إيمانه من كسبه وسعيه فيؤجر عليه ، أما إذا اضطر إليه فليس فيه أجر[4] ، فما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى ــ عليه السلام ــ وعبوديته لله ــ تعالى ــ، قبل موته ، لكن قهراً لا ينفعه فى الخلوص من النيران وغضب الديان .

التفسير الثانى : إن عيسى ــ عليه السلام ــ ينزل فى آخر الزمان عند ظهور المهدى

---

(١) النساء : ١٥٩ .

(٢) سبأ : ٢٤ .

(٣) الفاتحة : ٧ .

(٤) وهو مثل فرعون عندما أعلن إيمانه عند الغرق فلم ينفعه .

بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج فيكسر الصليب ويقتل الخنزير[1] ، ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون ، ويستأصل اليهود بالقتل ، ويصرح بأنه عبد الله ونبيه ، فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ **لإخباره** لهم بذلك .

وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير .

وأما قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ فهو من محاسن القرآن الكريم ؛ لأنه من تلطف الخطاب وحسن الإرشاد ، فإنك إذا قلت **لغيرك : أنت كافر فآمن ، ربما أدركته الأنفة فاشتد إعراضه عن الحق ، فإذا قلت له : أحدنا** كافر ينبغى أن يسعى فى خلاص نفسه من عذاب الله ــ تعالى ــ فهلم بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه ، فإن ذلك أوفر لداعيته فى الرجوع إلى الحق والفحص عن الصواب ، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر فَرّ من الكفر من غير منافرة منك عنده ، ويفرح بإسلامه ويسر منك بالنصيحة .

هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار ؛ ليكون ذلك أقرب لهدايتهم ، ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لقوم موسى ــ عليه السلام ــ: **﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب، ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾**[2] ، فخصهم أولاً بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم ، مع علمه بأنه وبال

---

(١) قلت : انظر :

ــ صحيح البخارى كتاب البيوع [باب ١٠٢] ، وكتاب المظالم والغصب [باب ٣١]، وكتاب الأنبياء [باب ٤٩]

ــ صحيح مسلم كتاب الأيمان [حديث ٢٤٢ : ٢٤٧] .

ــ الترمذى فى كتاب الفتن [باب ٥٤] .

ــ سنن ابن ماجه كتاب الفتن [باب ٣٣] .

ــ المسند [٢/٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٤٣٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩٣ ، ٥٣٨ ، ٣/٣٤٥ ، ٣٨٤] .

ــ مسند الطيالسى حديث [٢٢٩٧ ، ٢٥٧٥]

(٢) غافر : ٢٨ ، ٢٩ ، وفى المطبوعة على هامش كتاب الفارق قَدَّم المؤلف الآية الأخيرة على سابقتها ، والصواب ما أثبتناه .

عليهم وسبب طغيانهم و لم يجزم فى ظاهر اللفظ بصدق موسى ــ عليه السلام ــ مع قطعه بصدقه ، بل جعله معلقاً على شرط لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب ، فكل من صح قصده فى هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب لهدايتهم . وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون فى حق فرعون : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾[1] ، وقوله لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن** ﴾[3] ، فهذا كله من محاسن الخطاب ، لا من موجبات الشك والارتياب .

وأما أمره ــ تعالى ــ لمحمد ــ عليه السلام ــ ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم فلا يدل على عدم حصول الهداية فى الحال ؛ لأن القاعدة اللغوية أن الأمر والنهى والدعاء والوعد والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضى والحاضر ، فلا يطلب إلا المستقبل ؛ لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه فلا معنى لطلبه ، والإنسان ــ باعتبار المستقبل ــ **لايدرى** ماذا قضى عليه ، فيسأل الله العظيم الهداية فى المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة ، كما أن النصرانى إذا قال : اللهم أمتنى على دينى لا يدل على أنه غير نصرانى إلى وقت الدعاء ، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه ، وكذلك سائر الأدعية .

وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود ، وأن الضالين هم النصارى ، فتبديل ذلك ــ بما قاله ــ مصادمة ومكابرة ومغالطة وتحريف وتبديل ، فلا يُسمع من مدعيه .

الشبهة العاشرة :

ومنها أنه قال : ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا ، ولا وقفنا على كتابه بلساننا .

والجواب : أنه ــ عليه السلام ــ لو لم يُرْسَل إليهم ــ فليت شعرى ــ ما كتب

---

(١) طه : ٤٤ .
(٢) آل عمران : ١٥٩ .
(٣) العنكبوت : ٤٦ .

إلى قيصر هرقل ملك الروم[1] ، وإلى المقوقس[2] أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام ، ولولا ذلك لم يسلط السيف على النصرانية إلى اليوم ستمائة سنة :

وليس يقر فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليـــــل

الشبهة الحادية عشرة :

ومنها : أنه قال : لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا علينا ؛ فإن مرآدنا بالآب : الذات ، وبالابن : النطق الذى هو قائم بتلك الذات ، وروح القدس : الحياة ، الثلاثة إلٰه واحد ، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون ، ونحن لم نطلق ذلك من قِبل أنفسنا ، بل فى الإنجيل قال عيسى ــ عليه السلام ــ: **« اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوها باسم الآب والابن والروح القدس »** ، وفى أول القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم ...، **فاقتصر** على هذه الثلاث : الآب والابن وروح القدس .

ونريد بقولنا : **« المسيح ابن مولود من الله تعالى » فلا** حدث قبل الدهور وأنه لم يزل نطقاً ولم يزل الله تعالى ناطقاً ، ثم أرسل الله ــ تعالى ــ نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له ، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له ، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له ، فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم ــ رضى الله عنها ــ، ووُلد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلٰهية ، فإذا قلنا : المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية ، وأن له ولداً من صاحبة ، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾[3] .

وسبب تجسيم كلمة الله ــ تعالى ــ إنساناً أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب ؛ لأن اللطائف لا تظهر إلا فى الكثائف ، فظهر فى الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب

---

(١) كتاب النبي إلى قيصر انظر :
ــ صحيح البخارى **كتاب الجهاد** [باب ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٢] . وكتاب التفسير سورة آل عمران [باب ٤] ، وكتاب أخبار الآحاد [باب ٤] ، وكتاب التوحيد [باب ٥١] .
ــ سنن أبى داود كتاب الحدود [باب ١١٨] .
ــ الترمذى كتاب الاستئذان والآداب [باب ٢٤] .
ــ طبقات ابن سعد [جـ ١/قسم ٢/ص ١٦ ، جـ ٤ ١ ١٨٥] .
ــ المسند [١/٢٦٢ جـ٣/١٣٣ ، ٤٤١ ، ٤/٧٤ ، ٧٥] .
(٢) طبقات ابن سعد [١/٢/١٦] .
(٣) البلد : ٣ .

موسى ــ عليه السلام ــ من العوسجة[1] ، ففعل المعجز بلاهوته[2] وأظهر المعجز بناسوته[3] ، والفعلان للمسيح ــ عليه السلام ــ كما تقول : زيد ميت بجسده باق بنفسه ، ولذلك صُلب الناسوت دون اللاهوت .

كما أن الحديدة المحماة يُطرق حديدها أو يُقطع دون ناريتها .

وكذلك سمى القرآن عيسى ــ عليه السلام ــ روح الله[4] وكلمته[5] واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحداً وهو الآب ونطقه وحياته ، ولايلزم تعددها تعدد الخالقين ، كما تقول : الخياط خَيَّط الثوب ، ويد الخياط خيطت الثوب ، ولا يلزم أن يقال : خَيَّط الثوب خياطان ، بل خياط واحد ، كذلك **قولنا** : الله تعالى وروحه وكلمته إلٰه واحد ، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس[6] .

والجواب : أما قوله : « نريد بالآب : الذات ، وبالابن : النطق ، وبروح القدس : الحياة » فلا كفر فيه ، وإنما الاطلاق منكر .

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئاً يُعتمد عليه ، ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين ، ولا يوثق بشيء منه فى الدين ، وقد تقدم ذلك فى تناقضه ، وأما ما فى القرآن من : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فتفسيركم له غلط وتحريف ، كما فعلتم فى الإنجيل ؛ لأن « الله » ــ تعالى ــ عندنا فى البسملة معناه : الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال ، و « الرحمن الرحيم » : وصفان له سبحانه ــ وتعالى ــ باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته ، فإن صفات الله ــ تعالى ــ منها سلبية نحو : « الأزلى » أى لا أول له ، و « الصمد » : أى لا جوف له ...، **ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة :**

١ ــ العــلم .

٢ ــ الإرادة .

---

(١) هذا فى التوراة وليس من القرآن ، والعوسج نوع من الشجر طيب الرائحة .

(٢) أى بخاصته الإلٰهية .

(٣) أى بخاصته الإنسانية الآدمية .

(٤) ، (٥) النساء : ١٧١ .

(٦) قلت : لماذا لم يقل عقل الإنسان ونطقه وحياته وإحساسه وإبصاره وتذوقه ستة ، أعنى لماذا اقتصر على ثلاث صفات فقط ؟؟؟!!

٣ ــ القــدرة .

٤ ــ الحيــاة .

٥ ــ الكــلام .

٦ ــ الســمع .

٧ ــ البصــر .

ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو : الرزق والهبات والخلق والإحسان ، فتسميته « الرازق » ، « الوهاب » ، « الخالق » ، « المحسن » باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته ، « فالرحمٰن » معناه : المحسن فى الدنيا والآخرة الخلقه بفضله والرحيم معناه المحسن فى الآخرة خاصة لخلقه بفضله ؛ ولذلك يقال : « يارحمٰن الدنيا والآخرة ويارحيم الآخرة » ، « فالرحمٰن » ، أبلغ من « الرحيم » لشموله الدارين ، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما فى « الرحمن الرحيم » بل هو تحريف منه للقرآن ، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حُرِّم هذا الإطلاق ، فإن إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية بتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله ــ تعالى ــ ، وليس هو عندكم ، فكنتم عصاةً بهذا الإطلاق .

وأما قولكم : « أن النطق مُوجِد » فغلط ، فإن « المُوجد » إنما هو : القدرة دون غيرها .

وكل صفة من صفات الله ــ تعالى ــ لها خاصية لا توجد لغيرها :

، فالقدرة : تُوجِد .

والإرادة : تُخَصِّص الممكن بأزمانه وأحواله .

والعلم : يكشف الممكنات والواجبات والمستحيلات على ما هى عليه .

والسمع : إدراك يختص بالكلام النفسى والصوت اللسانى .

والبصر : إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم ، بخلاف العلم فإنه يعمها .

والكلام النفسى ــ الذى هو النطق ــ : يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، فلا يجوز أن يُعتقد أن الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا .

والبراهين على هذه المطالب فى كتبنا الكلامية ، ليس هذا موضعها .

وقوله : « ونُريد ببنوة المسيح ولادته من الله ــ تعالى ــ بلا حدث ، إنه لم يزل نطقاً ، ولم يزل الله ــ تعالى ــ ناطقاً » ... قلت : هذا كلام غير معقول أصلاً إلا

على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر ، وتقريره : إن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والإرادة ، فإن أردتم أن عيسى ــ عليه السلام ــ المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان ، فضلاً عن كونه لم يزل كذلك ، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً ، والعلم يكون طعاماً ، والرائحة تكون لوناً ، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً ، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور ، وإن أردتم أنه لم يزل نطقاً أى لم يزل الله ــ تعالى ــ يخبر عن وجود عيسى ــ عليه السلام ــ فى أزله ، فهو صحيح مقصود ؛ لأن خبر الله ــ تعالى ــ يتعلق بجميع الأشياء (الموجودات والمعدومات ، الماضيات والحاضرات والمستقبلات) ، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود ، فإن خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى ــ عليه السلام ــ يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم فى الأزل ، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقا بهذا التفسير فينبغى أن يكون كل واحد من اليهود ابناً لله ــ تعالى ــ، ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود فى ذلك ، بل ولا على أحد من الحشرات .

وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه ، فإنه غير معقول من قولكم : « لم يزل المسيح ــ عليه السلام ــ نطقاً » ، فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو : إما إبطال مذهب النصارى ، أو : يكون كلامهم غير معقول ، فضلاً عن إقامة الدليل عليه فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا لا ليتحصل منه شىء .

قوله : « ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة » .. هذا غلط وعمى وعدم بصيرة ، فإن إرسال الشىء اتصاله بغيره المباين له ، وهو غير معقول فى كل صفة من الصفات (النطق وغيره) ، فيستحيل إرسال الألوان والطعوم والروائح والعلوم والظنون إلا مع انتقال محالها ، أما بمفردها فمحال ببديهة العقل ، ومن شك فى ذلك فليس بعاقل ، ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين .

وأما « إرسال الشمس لضوئها » : فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله ــ تعالى ــ يخلق الأنوار والأضواء فى أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض ، فالضوء الحاصل فى كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل فى الجزء الآخر ،

وغير الضوء القائم بجرم الشمس ، فهـهنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة ، لم يرسل منها صفة واحدة بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه .

فإن أردتم : أن الله تعالى خلق فى عيسى ــ عليه السلام ــ نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره ، فكذلك سائر الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، بل العلماء والمشرعون كذلك خَلْقُ الله تعالى فى نفوسهم الأخبار عن أحكامه تعالى ، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا ابناً فالعلماء كلهم كذلك ، وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق .

وأما إرسال الإنسان كلامه لغيره عن فكره فذلك :

(أ) إما بالكتابة : فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود فى أجسام بيض ، ونطقه القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه .

(ب) وإما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة ، فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله فقال هذا الرسول أصواتاً لذلك الغير ، والأصوات من خواص الإنسان وقصبة الرئة لا تكون إلا فى الأجسام ، لذلك أحلناها على الله تعالى لأنه ليس بجسم ، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسى الذى ليس بأصوات ، والأصوات دالة عليه .

وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسى ولا الصوتى ، بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله ، وعَدِمَ لحينه لم يأخذه الرسول معه ، فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لدعواكم بل جهل بالحقائق وأحكامها وما هى عليه .

فإن قلتم : إن الله ــ تعالى ــ أمر عيسى ــ عليه السلام ــ فقال ما يدل على أحكام . الله ــ تعالى ــ للخلق ، فهو والأنبياء سواء فى ذلك فلا معنى لاختصاصه بالبنوة .

وقوله : « فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم ــ رضى الله عنها ــ.. إلى آخر كلامه » .

قلت : هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الإنسانية بالكلية ، كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسماً ؟؟، وذلك كقول القائل : الألوان والطعوم والروائح صارت جِمَالاً وبراذين[1] ، فمن قام به لون قام به برذون ، ومن قام به رائحة قام به جمل أو فرس ، وكيف يتخيل عاقل أن المعانى تنقلب أجساماً مع أن المعانى مفتقرة للمحال لذاتها ، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها ، فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً

---

(1) البرذون : البغل .

لذاته ؟؟!! ، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته ، والزوج فرداً ، والفرد زوجاً ، والسواد بياضاً ..، فإن كنتم تجوزون هذا كله وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام ــ وهو الظن بكم ــ سقطت مكالمتكم ؛ لأن الكلام مع البهائم عبث وسفه ...، وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم : « تجسم النطق الربانى فى عيسى ابن مريم » ، واعترفوا ببطلان البنوة المبنية عليه ، وإن عيسى ــ عليه السلام ــ فيه وجهان واعتباران : هو من وجه إلٰه ، ومن وجه إنسان ...، فالآفات والصلب ترد **على الوجه الإنسانى ، ويصير هذا الكلام كله كفراً وجنوناً ؛ لأن المبنى على الأصل الفاسد** فاسد .

قوله : « إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ » .

قلت : هذا افتراء على الله ــ تعالى ــ وعلى كتابه وعلى المسلمين ، إنما أقسم الله ــ تعالى ــ بآدم وذريته ، فليس للنصرانى أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه .

قوله : « وسبب تجسم الكلمة أن اللطيفَ لا يظهر إلا فى الكثيف كما خاطب الله موسى ــ عليه السلام ــ من العوسجة » .

قلت : هذا أيضاً من جهالات النصرانية ، فَلِم قلتم أن اللطيف لا يظهر إلا فى الكثيف ؟؟ ، بل يجوز أن يخلق الله ــ تعالى ــ لنا علماً ضرورياً لكل لطيف على ما هو عليه ، من غير أن يحل ذلك اللطيف فى غيره ولا يتحد بسواه ، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلا بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى عليه السلام ، ويلزم النصارى فى هذا المقام أمور شنيعة أما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغِنَى عن الكثيف ، أو يكون [أبو] الخلائق آدم ــ عليه السلام ــ وغيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله ــ تعالى ــ وكمال ذاته شيء قبل عيسى ــ عليه السلام ــ، إن لم يكن قبله اتحاد ؛ لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم ، وإن كان الظهور حاصلاً قبله كان الاتحاد الحاصل لعيسى ــ عليه السلام ــ حاصل لجميع الخلائق العالمين بالله ــ تعالى ــ وبصفاته ، وللذين ظهرت لهم الصفات الربانية والمعارف الإلٰهية ، وحينئذ لا اختصاص لعيسى ــ عليه السلام ــ؛ ولا مزية له حتى يُجعلَ ابن الله تعالى دون الناس أجمعين .

ولم يتحد الكلام لموسى ــ عليه السلام ــ بالعوسجة ، بل سمع كلام الله ــ تعالى ــ وهو قائم بذاته ، وقد تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف ، فكيف ينتقل كلام الله ــ تعالى ــ للشجرة حتى يسمعه موسى ــ عليه السلام ــ؟؟، فهذا أيضاً من الافتراء على قصة موسى ــ عليه السلام ــ.

ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فى دقائق الملكوت وعجاب أسرار الربوبية ، مع أنهم جهلوا أحكام المعانى ، وجوزوا عليها أن تكون أجساماً ، ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى ــ عليه السلام ــ لكلام الله ــ تعالى ــ وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت ، وهو مبسوط فى كتبنا الكلامية ، وقد ذكرته مستوعباً فى « شرح الأربعين للإمام فخر الدين » فمن أراده نظره هناك ، وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديدة والخَيّاط ، فإن ذلك فرع تجسد المعنى وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه .

وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى ــ عليه السلام ــ روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه .

قوله : « الله وكلمته وروحه إلٰه واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة ، كما تقول : الإنسان وعقله وحياته ثلاثة وهو إنسان واحد » .

قلنا : بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح ــ عليه السلام ــ فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة ، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء ، والروح القدس الذى هو الحياة ، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من إيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى ، وتقولون فى صلاتكم : « والروح القدس مساو لك فى الكرامة » ، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة .

ووزانه فى الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجَمل فاستحق تعظيماً كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل ، وروحه أيضاً تستحق تعظيم الإنسانية ، والإنسان فى نفسه يستحق تعظيم الإنسانية ، فيكون لنا ثلاثة أناس جزماً ، وإنما كان الإنسان واحداً لأن صفاته لم تتعداه ولم تعدل صفة من صفاته ذاته فى التعظيم ، بل المعظم واحد وهو

الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات ، فكان ينبغى للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون : المعظم باستحقاق العبادة والعبودية واحد ، وهو الله تعالى ؛ لكمال صفاته وشرف ذاته ، وليس شيء من صفاته مستحق للعبادة كان منتقلاً لوجود الانتقال ، أو كانت الصفة قائمة بذاته ، ولا يستحق للعبادة الموجبة للألوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال ، لا شيء من صفاتها ولا غير صفاتها ، فهذا هو التوحيد المحقق الذى عليه المسلمون .

أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات ومن حل فيه بعضها ، فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة ؛ فلا معنى لقولهم أن هذا لا يلزمنا ، إنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا : المسيح ــ عليه السلام ــ لا يستحق العبادة ولا نصلى له ولا نعبده ومن عبده كفر ، لأنه عبد من جملة خلقه حلت فيه صفته ، فهو غير الله تعالى ...، [ومَن عَبَدَهُ] فهو مشرك ، بل من عظم صفة من صفات الله تعالى (علمه ، أو كلامه ، أو حياته ، أو سمعه ، أو بصره) تعظيم الله تعالى ؛ فهو كافر مشرك مع الله غيره قائل بتعدد الآلهة ، فلا معنى لإنكار ذلك منهم .

ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإلٰه ولا أى شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية ، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهة وهم لا يشعرون !! ، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ، ثم يقتل ، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه !!، فينبغى لهذه الطائفة النصرانية أن تبكى وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكى على فقد الدين ، فإذا وهبها الله ــ تعالى ــ عقلاً سألت عن حقيقة الألوهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ماهيتها ، وما يجب للألوهية وما يستحيل عليها، وأى شيء إذا فقد لا يكون المحل مع هذه إلٰهاً ، وإذا علمت هذه الأمور كلها ــ كما علمها المسلمون ــ استيقظت من سكر جهلها ، وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة وأن المتعين ألا يُعبد إلا إلٰه واحد .

فإن قالوا : نحن لا نعبد المسيح ــ عليه السلام ــ ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة ولا نصلى لها ــ حلت الكلمة أم لا ــ ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلا ، فصفات الله واجبة الكمال لموصوفها وهى قديمة باقية يجب لها التنزه ــ حلت أم لا ــ؛ فهذا حق لا ننكره عليهم ويكونون موحدين ، وإنما يبقى الإنكار فى القول **بالحلول والاتحاد ــ على اختلاف مذاهبهم ــ وجحد النبوة ، فبهذه الطريقة نكفرهم**

لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته ، والمصرح بهذا هم النسطورية[1] دون اليعاقبة[2] والملكانية[3] ، وهم أقرب النصارى إلى الصواب ، وليس للمسيح ــ عليه السلام ــ عندهم ميزة على سائر الأنبياء إلا أنه أفضلهم فقط ، كما نقول نحن أن محمداً ــ عليه الصلاة والسلام ــ أفضلهم .

الشبهة الثانية عشرة :

ومنها أنه قال : إذا احتججنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته ؛ لأنه كمكتوب أخرجه صاحب الدين بمائة دينار وفيه مكتوب أنه قد وفا ، فإن ذلك لا ينفع المديون .

الجواب عليها :

قلنا : هذا التمثيل غير مستقيم ، فإن كتاب **الدَّين** إن كانت البينة فيه على القبض والوفا نفع المديون ، وإن كانت البينة على القبض دون الوفا فهذا هو الذى لا ينفع .

وبيانه : صحة القرآن هى المعجزة الدالة على عصمة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ والمعصوم كلامه كله حق وصدق فهو كالمكتوب الذى فيه البينة على القبض والوفا ؛ [فيحتج] بجميع ما فيه .

---

(١) ينسبون إلى نسطور وقد كان بطريركا بالقسطنطينية ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إلهاً بل ولدت فقط الإنسان ، ثم اتحد الإنسان بعد ذلك بالأقنوم الثانى ، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً ، أو ذلك الاتحاد ليس اتحاداً حقيقياً بل اتحاداً مجازياً. لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن ، وهذا التخريج ولا شك يؤدى إلى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب فى زعمهم ــ لم يكن فيهُ عنصر إلهى قط فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله وفى مجمع أفسس سنة ٤٣١ م اجتمع النصارى وقرروا لعن نسطور وطرده فأبعد ونفى حتى وصل مصر وأقام فى أخميم إلى أن مات . [محاضرات فى النصرانية . للشيخ أبو زهرة ص ١٦٥ ، ١٩٢] وانظر أيضاً [إغاثة اللفهان لابن القيم ٢/٢٧٤ ــ ٢٧٦] .

(٢) اليعاقبة : هم أتباع يعقوب البراذعى ويقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البراذعى لأنه من أنشط الدعاة إليه لا لأنه مبتدعه ومنشؤه ، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا ، وأول من أعلن هذا المذهب بطريرك الاسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى .

[انظر محاضرات فى النصرانية ، للشيخ محمد أبو زهرة ٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٤] .

(٣) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم يرُون بقاء التثليث مع وجود اتحاد الله بجسد المسيح وامتزاجه به ، وأطلقوا لفظ البنوة على المسيح والأبوة على الله ، وسيلى إن شاء الله ضمن هذا الكتاب فى السؤال الثامن عشر من الباب الثالث تعريف المصنف ــ أعنى القرافى ــ بهذه الفرق واعتقادها ، فليراجع فى موضعه .

بمُنْكَر !!؛ لأن الموجودات منحصرة فى : الجواهر والأعراض ، ولأن الموجود إما :

١ ــ غير مفتقر فى الوجود إلى غيره (وهو الجوهر) .

٢ ــ أو مفتقر فى وجوده إلى غيره (وهو العَرَض) .

ولا وساطة فى قولنا مفتقر فى وجوده وغير مفتقر ، ويستحيل عليه تعالى أن يكون عَرضًا ، فيتعين أن يكون جوهراً لضرورة الحصر فيهما .

وأما قول المسلمين : « **إن** الجوهر هو الذى يقبل العرض فيشغل الحيز فيستحيل **إطلاقه** على الله ــ تعالى ــ » ؛ فليس كذلك ، بل الذى يشغل الحيز ويقبل العَرَض هو الجوهر الكثيف ، أما اللطيف كالضوء والنفس **والعقل فلا** .

الجواب على هذه الشبهة :

قلنا : هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العَرَض ، ولا يضبط علماً من العلوم [كهذا النصرانى](*) فإن هذه خصيصتهم ، أما ما يفتقر فى وجوده لغيره فهو الممكن ، وما لا يفتقر لغيره بوجه من الوجوه فهو الواجب ، فهذا تفسير الواجب والممكن لا تفسير الجوهر والعَرَض ، فأين أحد البابين من الآخر ، بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر فى وجوده إلى غيره ، **فتبرع** للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق فنقول :

الجوهر : هو المتحيز لذاته الذى لا يقبل القسمة ، فقولنا « لذاته » احتراز من العَرَض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجوهر ....، وقولنا : « لا يقبل القسمة » احتراز من الجسم فإنه يقبل القسمة ، فالجسم هو المتحيز لذاته الذى يقبل القسمة ، وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم .

والعَرَض : هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به ، لا أنه يفتقر إليه فى وجوده ، بل وجود العرض وغيره من الله تعالى .

إذا تقرر هذا ظهر **خطؤهم** فى إطلاق لفظ الجوهر على الله ــ تعالى ــ، فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعَرَض ، بل على تفسيرهم للعرض **يلزم ألا يكون القابل للعرض** والشاغل للحيز جوهراً ؛ لأن وجوده من الله ــ تعالى ــ، بل الله ــ تعالى ــ هو خالق المتحيزات وغيرها .

(*) فى الأصل : كأنه نصرانى .

ومن العجيب قوله : « **إن** الجوهر اللطيف لا يشغل حيزاً ولا يقبل عرضاً » ، ثم مَثَّله بالنفس والعقل والضوء .

أما النفس : فإنها متحيزة وهى تقوم بها الأعراض لأنها يقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات والآلام واللذات وغير ذلك ، وكلها أعراض نفسانية ، لكن لا يعرف حقيقة العرض ؛ فلذلك نفى الأعراض عن النفس .

وكذا العقل يقوم به الفِكَر والعِبَر والعلوم والمعارف وغيرها ، وهى أعراض .

وأما الضوء : فعرض يقوم بجواهر الهواء ، ليس من الجواهر فى شىء ، وهو يعتقد أنه جوهر فمَثَّله به !!

فحديث النصارى كله عجب !!؛ حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً !!

الشبهة الخامسة عشرة :

أنه قال : الله له عدل وفضل ، وهو ــ سبحانه وتعالى ــ يتصرف بهما ، فأرسل موسى ــ عليه السلام ــ بشريعة العدل لما فيها من التشديد ، فلما استقرت فى نفوسهم وقد بقى الكمال الذى لا يصنعه إلا أكمل الكملاء وهو الله ــ تعالى ــ ، ولما كان جَوّاداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات ، وليس فى الموجودات أجود من كلمته(*) ــ يعنى نطقه(**) ــ ، فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات ــ وهو الإنسان ــ ، لتظهر قدرته ، فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد **الكمال** إلا النقص .

الجواب عن هذه الشبهة :

قلنا : أما شريعة موسى ــ عليه السلام ــ فكانت عدلاً وفضلاً وقَلَّ أن يقع فى العالم عدل مجرد ، وإنما وقع ذلك لأهل النارِ خاصة ، كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة .

وتقرير هذا الباب : أن كل جود وإحسان فهو من فضل الله ــ تعالى ــ وجود لا يجب عليه فعله ، فما عرى عن الخير والإحسان البتة فهو العدل المحض ؛ لأن الملك ملكه ، والتصرف فى الملك المملوك ــ كيف كان ــ عدل ليس بظلم ، وإنما يكون الظلم فى مملوك الغير ، فإن وقع الخير المحض فهو التفضيل المحض ، وهذا

(*) ، (**) يعنى المسيح ــ عليه السلام ــ .

هو شأن أهل الجنة .

إذا تقرر هذا فشريعة موسى ــ عليه السلام ــ كان فيها من **الإحسان** أنواع كثيرة فتلك كلها فضل ؛ كتحريم القتل والغَصْب والزنا والقذف والمسكر من الخمور المغيبة للعقول ؛ وإنما أباح اليسير الذى لا يصل إلى حد السكر[1] ، وكإباحة الفواكه واللحوم والزواج وغير ذلك ، وهذه كلها أنواع من الفضل ، ثم أن عيسى ــ عليه السلام ــ جاء مقرراً لها وعاملاً بمقتضاها ومستعملاً لأحكامها ، ولم يُزد شيئاً من الأحكام ، وإنما زاد المواعظ والأمر بالتواضع والرقة والرأفة ، فلم يأتِ عيسى ــ عليه السلام ــ بشريعة أخرى حتى يقال **إنها** الفضل ، بل مقتضى ما قاله أن تكون شريعة الفضل هى شريعتنا ؛ لأنها هى الشريعة المستقلة التى ليست تابعة لغيرها ولا مقلدة سواها ، وهذا هو اللائق لمنصب الكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً ، فهذه الحجة عليه لا له .

ثم قوله : « **لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه** » ، فهو باطل ؛ لأنه لا حجر عليه ــ سبحانه ــ فى ملكه ، فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل ، ويرسل الناس بأوامر وشرائع هى غاية فى جلب المصالح ودرء المفاسد ، كما هى شريعتنا المعظمة .

ثم قوله : « **الله ــ تعالى ــ جواد فجاد بأعظم الموجودات وهى كلمته ، فجعله متحداً ، فأفضل المحسوسات وهو الإنسان** » [وهذا القول] باطل لوجوه :

أحدها : أن الجود بالشىء فرع إمكانه ، فإن الكرم بالمستحيل محال ، فينبغى أن يبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسى من ذات الله ــ تعالى ــ إلى مريم ــ رضى الله عنها ــ ، **ثم يقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه ، وقد تقدم بيان استحالة** ذلك .

ثانيها : سلمنا أنه ممكن ، لكن لِمَ قلتم **إن** الكلام هو أفضل الموجودات ؟؟، ولِمَ لا يكون العلم أفضل الموجودات ؟؟، ولِمَ لا يكون العلم أفضل منه لأن الكلام تابع للعلم ؟؟

ثالثها : أن الذات الواجبة الوجود التى الصفات قائمة بها أفضل من الصفات ، لأن الصفات تفتقر للذات فى قيامها ، والذات لا تفتقر للمحل بخلاف الصفات .

---

(١) هذا فى شريعة اليهود ، وليس فى شرعنا ، فإن كل ما كان كثيره مسكراً فقليله حرام فى شرع الإسلام الحنيف .

رابعها : أنهما **صفتان** من الصفات ، والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وجده ، ولم يقل أحد باتحاد هذا ، فالأفضل لم يحصل حينئذ .

ولما كان كلام النصرانى نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه والرد ، فإنا نبين أن صفة الكمال والجود والفضل ظهرت فى شريعتنا أكثر من جملة الشرائع وبيانه من وجوه :

أحدها : أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها ، **فوقع** الخبط فى تلك الشرائع بعد طول المدة وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات ، وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة **فطغوا** وبغوا وضلوا وأضلوا ، ودُثرت تلك الشرائع بهذا السبب ، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض ، ومعجزة شرعنا هى القرآن الكريم بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات ، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلقها(*) الآباد ولا يسأمها أحد بالترداد ، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة فى كتب هذا الشأن ، واحدة منها كافية ، فكيف بالجميع !!؟؟، وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف والأبناء بعد الآباء فلا يزيد الإسلام ، إلا قوة ، ولا الإيمان والتوحيد إلا جِدّة ، ولله الحمد على ذلك ، فتمت المصلحة واستمرت ، ودحضت الضلالات ودثرت ، فهذا هو الكمال الأشرف والفضل المُنَوَّف(**) .

وثانيها : أن كل نبى بُعث إلى قومه خاصة ، ومحمد ـــ ﷺ ـــ بُعث للثقلين الإنس والجن[1] على اختلاف أنواعها ، وبيان ذلك أن أكمل الشرائع المتقدمة التوراة مع أن موسى ـــ عليه السلام ـــ لم يبعث إلا إلى بنى إسرائيل ، ولما أخذ من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم ، ولو كان إليهم لما أهملهم ، بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بنى إسرائيل فقط[2] ، فلما انقضى الغرض أهملهم ولم يعد لمصر البتة ، وإذا كان هذا حديث موسى ـــ عليه السلام

(*) خلُقَ الثوب أى : بَلِى ، ومثله كلمة : أخلَق أى أبلى .

(**) المُنَوَّف : أى الزائد .

(١) انظر رسالة « إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة للثقلين » ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ص ٩] فما بعدها .

(٢) قال سبحانه وتعالى لموسى وهارون : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى إسرائيل ﴾ [الشعراء : ١٦ ـــ ١٧]

فغيره أولى ، وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك ، لا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل ، وهو المطلوب .

وثالثها : أن هذا الأمة خير أمة أخرجت للناس ، فتكون شرائعها أفضل الشرائع ، أما أنها أفضل فلقوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[1] ؛ ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف فى ملة من الملل حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب[2] فى المجلدات العديدة المتباينة ، ولعله لا يوجد فى شريعة الإسرائيليين كلهم من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد فيكون العالم منا قدر شريعتهم بجملتها وكم فيها من عالم ، ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وجددت هى علوماً لم تكن لغيرها من النحو ، واللغة العربية البديعة ، وبسط وجوه الإعراب الذى صُنفت فيه الدواوين العظيمة ، وعلوم الحديث على اختلاف أنواعها ، وعلوم القرآن على سعتها ، وعلوم العروض والشعر والنظم وغير ذلك من العلوم الخاصة بها ، وهم أولى بعلوم غيرهم لتخليصها وإظهار بهجتها ، وإزالة فاسدها عن صحيحها ، وبسطها بعد قبضها عن غيرها ، فصار علم الوجود **منحصراً** فيها أولاً وأخيراً فتكون أفضل ، ولأن ما وهبه الله — تعالى — لهم من جودة العقل وقوة الإدراك وتيسير ضبط العلم لم يحصل لغيرها ، مضافا لقوة الحفظ وجودة الضبط الذى لم يُنقل عن أمة من الأمم وهو دليل كثرة **علومها** ولولا ذلك لم تكثر العلوم فيها ولها .

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع ؛ فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها واتباع نبيها — عليه السلام —، ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل .

ورابعها : أن الله — تعالى — **جعل** عبادة هذه الأمة فى هذه الشريعة على نسق الملائكة — عليهم السلام — تسوية بين الملائكة وهذه الأمة فى صفة العبادة ، فكل

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) منهم مثلاً الحافظ جلال الدين السيوطى الذى قال : « لو سُئلت فى أى مسألة لصنفت فيها كتاب » ، ويكفيه فخراً موسوعته جمع الجوامع ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذى كان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعه وأكثر حتى أنه لسرعته فى التأليف كان قلمه يجرى بوصل الكلمات من أول السطر إلى آخره فلا يرفع القلم إلا بانتهاء السطر أو بجفاف المداد .

الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلى صفوفاً كما تصلى الملائكة ؛ لقوله ــ تعالى ــ إخباراً عن قول الملائكة : ﴿ **وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون** ﴾[1] ، والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها ، فشريعتنا أفضل الشرائع .

وخامسها : إن سائر الأمم أُمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط ، وهذه الأمة[*] أمروا بذلك وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء والغسل واجتناب النجاسات والقاذورات ، ... [بينما يقف] الراهب يناجي ربه ويمتثل بين يديه لخطابه والعذرة[**] قد تحجرت على سوأته والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحنته[***] ، حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ الضيعة[2] لمقته وقبّح حالته فكيف بملك الملوك ورب الأرباب ؟؟!!![3] ، وأُمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقى الباطن نظيف الظاهر حسن الهيئة مستقبلاً أفضل الجهات[4] ملازماً للسكينة والوقار تاركاً للعبث والنفار ، فكل حالته هى إعلام بعمل مع أفضل الملوك .

فإن كان النصرانى لا يدرك الفرق بين هاتين الشريعتين ولا بين الهيئتين فهو معذور ؛ **لأنه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات وغمى قلبه بملابسة القاذورات فى المطعومات** والمشروبات ، حتى إنهم يقولون : ليس ثمة نجاسة البتة !! ، وبمثل هذا وأقل منه تعذر الناس فى فساد عقولهم .

وسادسها : إن هذه الشريعة أُمرت باستقبال أفضل الجهات وهو البيت الحرام لأنه أفضل من [بيت المقدس] لأمور منها :

١ ــ أنه أقدم بناء منه بأربعين سنة والتقدم دليل الفضل .

---

(١) الصافات : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(*) يعنى أمة محمد ــ ﷺ ــ

(**) البُراز .

(٢) قرية صغيرة .

(***) السَّحَنَة والسُّحْنَة : الهيئة .

(٣) فى طوائف الروم وغيرهم لا يستنجون بالماء فيبول أحدهم ويتغوّط ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلاته بتلك الرائحة الكريهة ، فيَستقبل المشرق ويُصلّب على وجهه ، ويُحَدِّث من يليه بأنواع الحديث كذباً كان أو فجوراً أو غيبة أو سباً وشتماً ، ويخبره بسعر الخمر ولحم الخنزير **وما هاكل** ذلك ولا يضر ذلك فى الصلاة ولا يبطلها ــ فى زعمهم ــ، وإن دعته الحاجة إلى البول فى الصلاة بال وهو يصلى صلاته . [إغاثة اللفهان ٢٨٥/٢] .

(٤) وهو بيت الله الحرام .

٢ ــ أن آدم إنما تيب عليه عنده بعرفة .

٣ ــ ومنها أن جميع الأنبياء منذ آدم فمن دونه حجه بخلاف بيت المقدس ، وجميع الشرائع إنما أمرت بالتوجه فى الصلاة إلى بيت المقدس .

وسابعها : أن الله ــ تعالى ــ جوز فى شريعة موسى أن يتزوج الرجل من شاء من النساء ، فراعى مصلحة الرجال دون النساء ، فإنهن يتضررن بالغيرة والإهمال إذا كثرن ، وحجر فى شريعة عيسى ــ عليه السلام ــ على مازاد على المرأة الواحدة ، فراعى مصلحة النساء دون الرجال ، لأنهم يتضررون بالاقتصار على الواحدة فقد لا [تتلاءم معه] فيكون(*) فى حيز العدم ، وفى شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين فجعل للرجل أربع نسوة(١) فلا ضرر عليه ، و [لا] يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث ، فكانت شريعتنا أتم ، واليهود لا يزيدون على الأربع تشبهاً بالمسلمين .

وثامنها : **إن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم فى الصلاة فى البِيَع ، وشريعتنا وردت بالصلاة** فى كل موضع طاهر فى جميع أقطار الارض(٢)، ومعلوم أن الصلاة فيها تعظيم لله ــ تعالى ــ، وبها نكون أكثر من الأول(٣) لأن الإنسان قد يتعذر عليه البيعة لكونه فى البرية والسفر ، أو يتيسر له لكن تفتر عزيمته قبل وصوله إليها فتكون الصلاة وتعظيم الله ــ تعالى ــ بها فى غاية القلة ، وفى هذه الشريعة(٤) جميع الأرض مسجد ، فيكون تعظيم الله ــ تعالى ــ وإجلاله فى غاية الكثرة ، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب .

وتاسعها : أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد ، بل تقدم للنيران فتحرقها ،

(*) أى الزواج .

(١) قلت : ذلك مشروط بالعدل بينهن .

(٢) عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة . وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة الحديث فى صحيح البخارى كتاب التيمم [رقم ٣٣٥ باب ١] ، وكتاب الصلاة [رقم ٤٣٨ باب ٥٦] .

(٣) يعنى أننا نكثر تعظيم الله تبارك وتعالى أكثر من النصارى واليهود ، لكثرة مواضع السجود والصلاة على امتداد الأرض كلها دون تخصيصها بموضع معين .

(٤) يعنى الإسلام .

وأحلت الغنائم فى هذه الشريعة[1] ، ومعلوم بالضرورة أن صون المالية عن الضياع والاستعانة على الدنيا والدين بها واقع فى نظر الحكمة وأتم فى مراعاة المصلحة ، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب .

وعاشرها : إنا لا نعلم فى شريعة من الشرائع إعلاماً بالأوقات المعينات للصلوات بشيء يشتمل على مصلحة غير [الإسلام] ، فاليهود يعلمون بالبوق ، والنصارى بضرب خشبة على خشبة أو نوع آخر من الجمادات يسمونه الناقوس ، وغير هاتين الملتين تعلم بالنار[2] ، ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل لمصلحة الإعلام ، وشرع فى هذه الشريعة وحدها الأذان فحصل الإعلام ، ومصلحة أفضل وهى الثناء على الملك العلاّم ، وتجديد كلمة الإيمان ، وتفخيم قدر رسول الملك الديان ، والحض على الصلاة وجميع سبل النجاة بقوله : « حى على الصلاة حى على الفلاح » ، و « الفلاح » : خير الدنيا والآخرة ، وكلمة : « حى » أمر وتخصيص على ما بعدها ، وفيه إيقاظ الغافلين وانتشار ذكر الذاكرين بالمجاوبة للمؤذنين[3] ، وفيه إعلان لشعار التوحيد وأنواع التمجيد ، الأصوات بين الأرض والسماوات على أعلى البنايات ، وأين هذا من النفخ فى البوقات وفراقع الخشبات !!؟؟،

---

(١) مَرَّ حديث : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى » وفيه : « وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى » (وقد تقدم تخريجه قريباً) .

(٢) قلت : انظر البخارى [حديث ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦] فى كتاب الأذان باب ١ ، ٢ [شرح ابن حجر العسقلانى ٢/٩٢ ــ ٩٩] .

(٣) انظر :

ــ البخارى كتاب الأذان [باب ٧ ، ٨] ، وكتاب التفسير ، سورة الإسراء ، [باب ١١] .

ــ مسلم كتاب الصلاة [حديث ١٠ ، ١٣] .

ــ سنن أبى داود كتاب الصلاة [باب ٣٦ ــ ٣٨] .

ــ الترمذى كتاب مواقيت الصلاة [باب ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣] .

ــ النسائى كتاب الأذان [باب ٣٣ ــ ٣٨] .

ــ ابن ماجه كتاب الأذان [باب ٤] .

ــ سنن الدارمى كتاب الصلاة [باب ٩ ، ١٠] .

ــ موطأ الإمام مالك كتاب النداء للصلاة [حديث ٢] .

ــ المسند [١/١١٩ ، ١٨١ ، ٢/١٦٨ ، ١٧٢ ، ٣/٣٥٢ ، ٥/٥٣ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٤٣٨ ، ٤/٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ٦/٩ ، ١٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٩١ ، ٤٢٥] .

ــ مسند الطيالسى [حديث ٢٢١٤] .

ومعلوم أن هذه مصالح جليلة ومناقب فضيلة لم تقرر إلا فى هذه الشريعة المحمدية ، وهذه الأمة الطاهرة الزكية ، وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب .

ولنقتصر على هذه النبذة فى هذا المختصر اللطيف ، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها ، ولا يخبو زندها(*) ، وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها .

(*) الزَّند : عود يُقدح به النار .